

Christianization In Arab Maghreb Till Independence Era

Dr. Kifah Abbas Ramadan

د. كفاح عباس رمضان الحمداني

AL-Hamdani

أستاذ مساعد

Assistant professor

**University of Mosul- Regional
Studies Center- Department
of Historical and Cultural
Studies**

جامعة الموصل - مركز الدراسات

الإقليمية - قسم الدراسات التاريخية

والثقافية

kefaahabaas@gmail.com

تاريخ القبول

تاريخ الاستلام

٢٠٢٣/٤/٢٦

٢٠٢٣/٢/٢٢

الكلمات المفتاحية: التنصير، المغرب العربي، الاحتلال الفرنسي

Keywords: Christianization, Maghreb, French occupation

المخلص

إن الفكر الاستعماري والعقيدة هما اللذان اخرجوا الأحداث في دول المغرب العربي من إطار حركة تستمد جذورها من خلفيات تاريخية إلى نطاق أوسع، إذ أن موقف أوروبا من الحركات التنصيرية لم يكن موقفاً عقائدياً بل كان موقفاً سياسياً عمل على تركيز نفوذ أوروبا بواسطة الإرساليات في دول المغرب العربي. وكون هذا التفكير عنصراً جديداً في حياة العقيدة المسيحية، فقد خرجت الأحداث عن طبيعتها. إذا كانت المبادرة قديمة في صيغ صليبية وعداء للمسلمين فإن ساسة أوروبا استجابوا للفكرة لما لمسوه من تمهيد الطريق لاستقبال أنواع الغزو. لم تحقق حركة التنصير في دول المغرب العربي نتائج تذكر، فبالرغم من الإمكانيات الضخمة التي وضعت تحت تصرفها، والدعم والمساندة اللذين كانت تتلقاهما من البابوية ومن القائمين على الحركة الصليبية، فقد فشلت فشلاً ذريعاً في تحقيق ما كانت تصبو إليه.

Abstract

The colonial thought and belief the ones that brought the events in the Arab Maghreb countries out the framework of a movement that derives its roots from historical backgrounds to a wider scale, as the position of Europe towards the Christianization movements was not an ideological position, but rather a political position that worked to concentrate the influence of Europe through missionaries in the countries of the Arab Maghreb. And the fact that this racist thinking is new in the life of the Christian faith, events have deviated from normal. If the initiative was old in the form of a crusader and hostility to Muslims, then the politicians of Europe responded to the idea because of what they felt of paving the way for receiving all kinds of invasion.

The Christianization movement in Arab Maghreb countries did not achieve significant results. in spite of the great support to the cross movement. Despite the huge capabilities that were placed at its disposal, and those in charge of the Crusader movement, it failed miserable to achieve what it was becoming.

المقدمة

كانت عملية تنصير المسلمين في العالم من اكبر التحديات التي واجهت الكنيسة المسيحية على مر العصور، واصبح ذلك من اهم التحديات بسبب تسارع الاحداث السياسية في العالم الاسلامي، وبسبب الانفتاح على العالم الحديث والاخيرة استعداد بعض المسلمين لتقبل الدخول في النصرانية، وهذا ما تم ملاحظته في السنوات.

إن ظاهرة التنصير في العالم بصورة عامة وفي دول العالم الاسلامي بصورة خاصة، أصبحت قضية معقدة وتتصل بانتشار نظريات التبعية للغرب المسيحي، وتعكس أبعاداً وظروفاً ذات أهمية لا يمكننا أن نغض الطرف عنها لما لها من تأثيرات قريبة وبعيدة المدى على مصير والأجيال المسلمة ومستقبلها.

اشكالية الدراسة: لهذا البحث أهمية سياسية وتاريخية لأنه يسلط الضوء على اهم ظاهرة انتشرت في دول المغرب العربي فترة الاحتلال الفرنسي الا وهي ظاهرة انتشار الحركات التنصيرية فيها، ومن الملفت للانتباه انها لم تكن لها اهداف دينية بحتة لكن كانت لها اهداف سياسية واقتصادية بالدرجة الاولى وذلك من اجل تركيز النفوذ الاوربي في المنطقة للأمد البعيد.

أهمية الدراسة: ان البحث له أهمية سياسية اكتسبها من كون التنصير له علاقة وثيقة بالاستعمار الغربي على دول العالم الثالث بصورة عامة وعلى دول المغرب العربي بصورة خاصة، واستخدمه وسيلة من الوسائل الهامة لتدعيم النفوذ الفرنسي في المغرب العربي. ونظرا لطول الفترة سنتوقف عند عهد الاستقلال لدول المغرب العربي. وسوف نكمل موضوع التنصير في المغرب العربي من عهد الاستقلال حتى عام ٢٠١٠ في بحث آخر إن شاء الله.

الهدف من الدراسة: يهدف هذا البحث إلى تسليط الضوء على أهم خطر يحرق بالعالم العربي بشكل عام والمغرب العربي بشكل خاص. الا وهو ظاهرة التنصير في المغرب العربي وهو خطر يستهدف الإسلام والمسلمين في المغرب العربي، ويسعى إلى القضاء على الهوية العربية وتفتيت المجتمع المغربي العربي ليسهل السيطرة عليه، وهذا نوع جديد من الاستعمار غير المباشر وطويل الأمد.

منهجية الدراسة: من اجل تحقيق اهداف هذه الدراسة فإننا سوف نعتمد على المنهج الوصفي والتاريخي والمنهج التحليلي، حيث نستخدم المنهج الوصفي والتاريخي في سرد بدايات العمل التنصيري في المغرب العربي. ثم استخدمنا المنهج التحليلي لدراسة الواقع العملي لنشر التنصير دول المغرب العربي منذ عام ١٨٣٠ وحتى عهد الاستقلال المغرب العربي، وسنحلل هذا النشاط على محاور عديدة سوف نذكر اهمها.

هيكلية الدراسة: قسم البحث إلى تمهيد ومبحثين، تناول التمهيد نبذة تاريخية عن حركة التنصير بصفة عامة، أما المبحث الأول سرد بدايات العمل التنصيري في المغرب العربي، والذي قسم الى ثلاثة اقسام هي أولاً: محاولة إنشاء قاعدة مسيحية، ثانياً الاستعانة بالجيوش الصليبية، ثالثاً: أوجه أخرى للتنصير، أما المبحث الثاني فتناول العمل التنصيري في المغرب العربي منذ عام ١٨٣٠ وحتى الاستقلال، والذي قسم بدوره الى عدة اقسام أولاً: تثبيت الهوية المسيحية بين الجنود لاستخدامهم كمعمرين، وثانياً: محاولة القضاء على المظاهر الإسلامية، وثالثاً: السيطرة على التعليم، ورابعاً: ترسيخ الوجود النصراني في المغرب العربي، وخامساً: ربط التنصير بالعمل الإنساني، وسادساً: توطين بعض النصارى من البلدان العربية الأخرى، وسابعاً: توسيع رقعة العمل التنصيري، وثامناً: محاولة إحياء قانون العرف القبلي، وتاسعاً: الاهتمام بالمرأة، وأخيراً الخاتمة وقائمة الهوامش والمصادر.

التمهيد

اهتمت الحركة التنصيرية بالمغرب العربي لعدة عوامل أهمها حنين الغرب الأوربي الدائم لاعادة لأمجاد المسيحية الكاثوليكية في ربوعه قبل الفتح الإسلامي^(١)، وإلى تلك العلاقة القوية بين كنيسة روميا وقرطاجة إلى حد أن ثانيتهما كانت في نظر البابوية ابنة الأولى، يضاف إلى ذلك المكانة السامية التي تبوئتها الكنيسة الشرقية الأرثوذكسية في العالم المسيحي وهي كنائس: (بيت المقدس، الإسكندرية، أنطاكية، القسطنطينية، روما، قرطاجة إلى جانب الكنائس الأخرى)، فكان فيها كرسي الجاثليق المشرف على (٧٠٠ كنيسة أسقفية)، وكانت قرطاجة مدينة الجامع الشهيرة التي كانت نور العالم المسيحي لمدة طويلة على حد تعبير الكاردينال لافيغيري^(٢).

فضلاً عن العلماء والمفكرين المسيحيين الذين يعتبرون من أبرز آباء الكنيسة الأوائل مثل (ترتليان، وسبيريان، وأوغسطين)، الأمر الذي كان يحرك في نفوس الأوروبيين الغربيين نزعة استعادة هذه البلاد من المسلمين باستمرار، وبالتالي جعل الحركة الصليبية تستهدفها وتخصها بقدر كبير من الاهتمام على الدوام. هذا من ناحية ومن ناحية ثانية قرب دول المغرب العربي من الغرب الأوربي مركز الحركة الصليبية وأهميته الاستراتيجية بالنسبة له، فضلاً عن أنه يشكل معظم الحدود الجنوبية للبحر الأبيض المتوسط مركز النشاط والحركة في العالم القديم^(٣).

إن حركة التنصير بدأت تمارس نشاطها في أرجاء المغرب العربي منذ وقت مبكر، يعود إلى عهد انحسار الدولة الفاطمية وتمزقها إلى دول وكيانات عديدة أهمها الدولة الزيدية في إفريقيا والمغرب الأدنى (تونس)، والدولة الحمادية في المغرب الأوسط (الجزائر) ويمكننا أن نستشف هذا النشاط من رسالتين البابا الرسالة الأولى عام ١٠٧٣ والثانية عام ١٠٧٦، حيث يوصيهم فيهما ولاسيما في الثانية من بين أمور أخرى بتحريض المسلمين من حولهم على الدخول في المسيحية ويحثهم على أن يكونوا القدوة الحسنة للمسلمين بتعاونهم وتوادمهم وتراحمهم فتلك هي الطريقة المثلى في نظره لاجتذابهم إلى هذه الديانة وليس بالاستعلاء عليهم

(١) ممدوح حسين: مدخل إلى تاريخ حركة التنصير، دار عمار للنشر، ط ١، (عمان:

١٩٩٥)، ص ٣٠.

(٢) الحبيب الجحاني: من قضايا الفكر، الشركة التونسية للتوزيع، (تونس: ١٩٧٥)، ص

١٤٢.

(٣) حسين، المصدر السابق، ص ٣٠.

والابتعاد عنهم والصد عنهم واجتتاب التعامل معهم أو الازدراء بهم، فهو بذلك يطلب من هؤلاء أن يصبحوا منصرين ويثبّتوا الدعوة المسيحية بين مواطنيهم من المسلمين^(١).

أُرسل مع الرسالة الثانية عام ١٠٧٦ رسالة إلى الأمير الناصر بن علناس عاهل الدولة الحمادية في المغرب الأوسط الذي كانت مدينة غنابه تابعة له، رداً على توصية الأمير برسم سيرفاندوس أسقفاً لتلك المدينة بعد أن انتخبه مسيحيوها لهذا المنصب، والتي دعا فيها البابا الأمير للتصير تظهر في ثنايا عبارات الرسالة التقويض والمجاملات، وعدت نقطة البداية لنشاط حركة التصير في تلك المرحلة^(٢).

شهدت المرحلة التالية اشتداد الحرب الصليبية على المسلمين في غرب العالم الإسلامي في جبهات ثلاثة الأندلس وصقلية وإفريقية وما تلا ذلك من زحف صليبي على المشرق، فاستغل روجان الثاني النورماني ملك الصقليتين ما وصلت إليه إفريقيا من ضعف في أواسط القرن الحادي عشر الميلادي، وشرع في مهاجمة ساحلها فسقطت في يده مدن الساحلية مثل طرابلس الغرب وصفاقس وقابس والمهديه وتونس وبجاية وغانبه واخذ يعمل على تثبيت أركان الاحتلال ولم يرغب عنه دور التصير بطبيعة الحال. إلا أنه توفي بعد فترة واشتعلت الثورة في المناطق المحتلة ضد النورمان وظهرت دولة الموحدين كقوة كبرى في المنطقة، وقيام عبد المؤمن بن علي الخليفة الأول بالزحف بجيشه إلى إفريقية وطردهم من المهديه آخر معاقلهم^(٣). وبالتالي تم توحيد معظم غرب العالم الإسلامي تحت لواء هذه الدولة مما جعل الظروف غير مؤاتية لنشاط حركة التصير في تلك البلاد وأدى إلى تراجعها إلى حد كبير ما يقرب من نصف قرن ولكن مع بداية ضعف الدولة الموحدية عاد نشاط حركة التصير إلى المنطقة ثانية بشكل قوى ومنظم، وكان رهبان منظمتي الفرنسيسكان^(٤)،

(١) حسين، المصدر السابق، ص ص ٣١.

(٢) المصدر نفسه، ص ٣٢.

(٣) المصدر نفسه، ص ٣٤.

(٤) منظمة الفرنسيسكانية: هم أتباع فرانسوا دآسيز أوفرنسيس الأسيزي، وهم ينقسمون إلى ثلاث طوائف الرهبان الصغار (Les freres mineurs)، والكابوشون (Les freres capucins)، والديريون (Les recoltes). أستمسك الفرنسيسكان بحياة الفقر المدقع، وخدمة المسيحية ووهب الفرنسيسكان أنفسهم لخدمة الإنسان في مجالات روحانية وتربوية واجتماعية؛ للمزيد من المعلومات أنظر: بلقاسم الحناشي: الحركات التبشيرية في المغرب الأقصى في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، منشورات مركز الدراسات والبحوث العثمانية والموريسكية والتوثيق والمعلومات، (تونس : ١٩٨٩)، ص ٤١.

والدومنيكان الذين أخذوا يتوافدون إليها منذ مطلع القرن الثالث عشر للميلاد غير مبالين بالمصاعب التي يصادفونها وحتى الموت في سبيل تحقيق أهدافهم وهم الذين قاموا بالدور الأكبر في هذا النشاط ، ونشط الحضور المسيحي بالمغرب الأقصى في عهد الناسك فرانسوا داسيز^(١) d' Assise Francois (١١٨٢-١٢٢٦)^(٢). وأول محاولة كانت للقديس فرانسوا تأسيس منظمة الفرنسيسكان هي تنفيذ الخطة التي وضعها للعمل على تنصير أبناء المغرب العربي. وتشير بعض المصادر أن(حنا دي ماثا Saint Jean de Mathel) هو مؤسس هذه المنظمة قد زار تونس عدة مرات في الأعوام ١٢٠٤، و١٢٠٩، و١٢١٣، قبل وفاته ببضعة أشهر، وأنه أسس بحى النصارى في تلك المدينة كنيسة صغيرة ومستشفى^(٣)، وفي عام ١٢١٩ شكل القديس فرانسوا خمس بعثات تنصيرية أرسلت واحدة منها إلى المغرب الأقصى وأخرى إلى تونس^(٤).

(١) فرانسوا داسيز أوفرنسيس الأسيزي: هو مؤسس منظمة الفرنسيسكان، وهو من أكبر قديسي المسيحية. أعرض عن الملذات. وأجذب أتباعاً كثيرين من مواطنيه بإيطاليا. أخذ أتباعه بتواضعه وسلوكوا مسلكا الزهد والرهبنة. زار فرانسوا داسيز بيت المقدس بإذن من البابا عام ١٢١٩. وكان البابا هو نربوس الثالث (١٢١٦-١٢٢٧). ثم زار فرانسوا داسيز مصر وعاد إلى روما أثر خلاف نشب بين أتباعه وتخلي عن الزعامة الدينية عام ١٢٢١؛ للمزيد من المعلومات أنظر: الحناشي، المصدر السابق، ص ٤١.

(٢) الحناشي، المصدر السابق، ص ٤١.

(٣) حسين، المصدر السابق، ص ٣٥.

(٤) عبد الهادي التازي: تاريخ الدبلوماسية للمغرب من أقدم العصور إلى اليوم، المجلد الثاني، (المغرب: ١٩٨٦)، ص ٢٨٨.

المبحث الأول

البدايات الاولى للعمل التنصيري في المغرب العربي

بعد دخول الإسلام في المغرب العربي انحصرت النصرانية في بعض الأديرة والرهبانيات شأنها كشأن البلدان العربية الأخرى. لكن عملية التنصير اعتمدت في تلك الحقبة على عدة محاور:-

أولاً: محاولة إنشاء قاعدة مسيحية:-

تم الاتفاق بين الخليفة الموحي إدريس الملقب بالمأمون بالمغرب ولفرديناند الثالث (Ferdinand III) (١١٩٩-١٢٥٢) ملك قشتالة، أن يؤسس كنيسة للمسيحيين بمدينة مراكش إذا ما أعانه بجيش يثبت به ملكه المزعزع بالمغرب وتم بناء الكنيسة ولكنها هدمت بعد سنتين من بنائها^(١).

أرسل البابا في روما خمسة من الفرنسيكان إلى مراكش فأقاموا في أزقتها وحاولوا تنصير الأهالي الذين ثاروا عليهم وقتلهم في ١٦ كانون الثاني/يناير عام ١٢٢٠، لأنهم أصروا على ممارسة نشاطهم ودعوة المسلمين علناً للتنصير، ضاربين بكل النصائح التي وجهت إليهم من التجار الأوربيين المقيمين في تلك البلاد عرض الحائط ، مما أثار المسلمين عليهم بطبيعة الحال، وجعل الخليفة الموحي يلقي القبض عليهم ويعدمهم نظراً لإصرارهم على موقفهم المعادي للإسلام، وقد علق القديس فرانسيس حينما علم بإعدامهم بقوله: "الآن أستطيع القول أن لي خمسة إخوة حقاً"^(٢).

خرجت بعثة فرنسيسكانية أخرى من إقليم توسكانا بإيطاليا قاصدة المغرب العربي في عام ١٢٢٧ ، وكانت مكونة من سبعة منصرين، وما أن وصل هؤلاء إلى مدينة سبته حتى بدؤوا يدعون للمسيحية بين المسلمين متجاهلين نصائح التجار الأوربيين الذين كانوا في المدينة فألقي القبض عليهم وسيقوا إلى مراكش حيث أعدموا في ١٠ تشرين أيلول/أكتوبر من العام نفسه بعد أن فشل الخليفة الموحي في إقناعهم بالعدول عن أقوالهم المخالفة لعقيدة المسلمين وعن الطعن في الإسلام^(٣).

تأسست أول كنيسة بمراكش عام ١٢٣٠ وسميت (كنيسة القديسة مريم) في عهد المأمون الموحي وقام البابا اينو صانت الرابع بتنصيب القس لوبي فرديناند دوأين ليكون أسقف مراكش وكتب البابا رسائل إلى أمراء سبته وبجاية وتونس يناشدهم فيها تسهيل الاتصال

(١) الحناشي، المصدر السابق، ص ٤١.

(٢) التازي، المصدر السابق، ص ٢٨٨.

(٣) حسين، المصدر السابق ، ص ٣٦.

بين نصارى إماراتهم ونصارى مراكش. ودخل جنود مسيحيون مرتزقة في الجيش الموحي، وأقاموا شعائرهم الدينية واعتنى البابا بكل ما يهم الجالية المسيحية بالمغرب من حقوق وامتيازات^(١).

نشطت الحركة التنصيرية في هذه المنطقة مستغلة في ذلك تسامح أميرها أبي زكريا الأول الحفصي^(٢) من ناحية ومحاولة استقلال الدولة الحفصية عن الدولة الموحيين من ناحية ثانية. وكانت هناك رسائل متبادلة بين البابا جريجوري التاسع والإمبراطور فردريك الثاني بشأن رغبة الأمير عبد العزيز الحفصي ابن أخ الأمير أبي زكريا الأول في التنصير. لكن في الحقيقة انه هناك رسالة كتبها البابا في عام ١٢٣٦ يتعرض فيها لهذا الموضوع، وثانيهما رسالة كتبها رامون البنيافورتي عند استقالته من رئاسة منظمة الدومنيكان عام ١٢٤٠ تلقي مزيداً من الضوء على جهود المنصرين الدومنيكان في إفريقيا في تلك الآونة، إذ إنها تبين مقدار اهتمامه بتلك البعثات ويوصيه بإرسال المزيد من الوفود إليهم يجيدون اللغة العربية لمناظرة المسلمين وإقناعهم بالتنصير. وأكد أن المنصرين وقتئذ تمكنوا من كسب تعاطف بعض رجالات الدولة ومن بينهم الأمير. لكن في الحقيقة كان تسامح من قبل الأمير تجاه المسيحيين في دولته، فتوهم هؤلاء انه يميل منه نحو النصرانية ودعم الجهود التنصيرية في هذه المنطقة^(٣).

جهود مماثلة كانت تبذل في بقية دول المغرب العربي وهذا ما تؤكدته والمراسلات المتبادلة بين البابا إنوسنت الرابع والخليفة المرتضى الموحي، وما صاحب ذلك من قيام هذا البابا بإرسال أحد أبرز العاملين في ميدان التنصير ومن أكثرهم نشاطاً وهو (لوب فيرناندو دي إين Ayn Lope Fernando d') إلى مراكش في عام ١٢٤٦ بعد أن تم نصبه أسقفاً لكنيستها في مهمة متعددة الأغراض منها جمع شمل مسيحيي المغرب العربي، والإشراف على الجهود التنصيرية فيها^(٤). ثم العمل على تنصير الخليفة المرتضى الموحي فضلاً عن أغراض سياسية أخرى وقد صرح البابا بأنه يرى الإمكانية المتاحة لازدهار الكاثوليكية من

(١) الحناشي، المصدر السابق، ص ٤٢.

(٢) أبو زكريا الحفصي : هو يحيى بن عبد الواحد بن أبي حفص الهنتاتي (١٢٠٢-١٢٤٩)، وهو أول من استقل بالملك ووطد أركانه من ملوك الدولة الحفصية بتونس ، وسع مملكته فاستولى على الجزائر وتلمسان وسبته وطنجه ومكناسه، وخاف منه الملك فريدفعقد هدنة معه لعشرة سنوات، للمزيد من المعلومات ينظر ، الجمهرة: أبو زكريا الحفصي، شبكة المعلومات الدولية(الانترنت)، على الموقع الالكتروني، <https://islamic-content.com>

(٣) حسين، المصدر السابق، ص ٣٧ - ٣٨.

(٤) حسين، المصدر السابق، ص ٣٩.

جديد في تلك البلاد ذلك بوشر في مضاعفة هذه الجهود وتكثيفها في جميع أرجاء المغرب العربي. وبعد وفاة الأمير أبي زكريا الأول، واعتلاء ابنه المستنصر عرش الدولة الحفصية عام ١٢٤٧، والذي كان يتحلى بتسامح كبير تجاه المسيحيين زاد نشاط الحركة التنصيرية في تونس ونشطت البابوية في هذا الاتجاه، يؤكد ذلك الرسالة التي بعث بها البابا الاسكندر الرابع آنذاك إلى رئيس منظمة الدومنيكان يأمره فيها بإرسال المزيد من منصري منظمته إلى شمال إفريقيا، وأعطى انتخاب همبرت الرومانس (Humbert of Romans) في عام ١٢٥٤ رئيساً لمنظمة الدومنيكان دفعة قوية لنشاط حركة التنصير في هذا الميدان بسبب حماسه لتطوير هذا النشاط حيث كان يأمل أن يتمكن رهبان منظمته من تنصير كافة المسلمين واليهود وغيرهم فضلاً عن توحيد الكنيستين الشرقية والغربية. تضاعفت الجهود وكثرت الاتصالات مع المستنصر والتي كان من أهمها إنشاء المدرسة العربية في مدينة تونس والتي كانت تعد أول معهد يقام في بلاد المسلمين لتعليم الرهبان المنصرين اللغة العربية^(١). كما أخذ العديد من مشاهير أعلام حركة التنصير يتوافدون إلى إفريقيا نذكر منهم الراهب (أندريه دي لونجومو) الذي نجح في أن يصبح أحد المقربين من السلطان الحفصي وأقام في تونس (١٥ عام) يدرس الأوضاع في شمال إفريقيا ويضع الخطط لتنصير مسلميها^(٢).

تم إيفاد رامون مارتى (Ramon Marti) إلى تونس في الوقت عينه، والذي يعتبر من أشهر المنصرين في القرن الثالث عشر الميلادي، وكان يعرف بخنجر الإيمان المسلول على المسلمين واليهود، حيث تعلم اللغة العربية في المعهد المذكور إلى أن أجادها حتى نسب إليه المعجم العربي - اللاتيني، وأقام في تونس مدة طويلة، وأصبح هو الآخر أحد المقربين من المستنصر، وكان على اتصال وثيق بملك فرنسا لويس التاسع، وتشير بعض المصادر إلى أن توجه الملك لويس التاسع بحملته الصليبية إلى مصر إنما كان بوجي منه طمعاً في تنصير سلطانها ورعاياها^(٣).

(١) شارل أندري جوليان: تاريخ إفريقيا الشمالية، ترجمة محمد مزالي، البشير سلامة، الدار التونسية، ط٢، (تونس: ١٩٧٨)، ج ٢، ص ١٨٠.

(٢) الراهب أندريه دي لونجومو: كان مبشراً ودبلوماسياً دومينيكياً من القرن الثالث عشر وكان أحد أكثر الدبلوماسيين الغربيين نشاطاً في الشرق من القرن الثالث عشر، للمزيد من المعلومات ينظر: شبكة المعلومات الدولية (الانترنت): أندريه دي لونجومو، منشور على الموقع الإلكتروني، <https://hmn.wiki/ar/Andr>

(٣) شارل اندري جوليان: تاريخ افريقيا الشمالية من الفتح الاسلامي الى سنة ١٨٣٠، ترجمة محمد مزالي، البشير بن سلامة، الدار التونسية للنشر، (تونس: ١٩٨٣)، ج ٢، ص ١٨٠.

لم يقتصر إنشاء حركة التنصير وقتئذ على جهود هؤلاء وإنما كان هناك العديدين وغيرهم بصفة خاصة من رهبان الفرنسيين والدومنيكان فضلاً عن رهبان المنظمات الأخرى الذين كانوا جميعاً يجوبون دول المغرب العربي لهذه الغاية تحت شعارات معلنة مختلفة نذكر من هذه المنظمات منظمة الثلاث المقدس^(١)، ومنظمة عذراء الرحمة^(٢) الذين كانوا يبحثون عن الأسرى المسيحيين في دول المغرب العربي لضمهم إليها ويمارسون نشاطهم التنصيري خلال ذلك حتى أن بعضهم أعدم في بجاية عام ١٢٦٦ بسبب ذلك. وكان فريق آخر من رهبان لتلك البعثات يمكن وصفهم بـ(مهووسي طلب الشهادة)، إذ كان هؤلاء يقصدون بلاد المسلمين للتنصير ولشدة حماسهم يهاجمون الإسلام علناً وعلى مسامع المسلمين بافتراءات مختلفة يفترونها عليه، وينعتون رسول الله محمد (صلى الله عليه وسلم) بأقبح النعوت وبطرق استفزازية لا يمكن للمسلمين أن يسكتوا عليها ولتحريض المسلمين على قتلهم، الأمر الذي كان يحدث أحياناً حتى ينال هؤلاء في زعمهم تاج الشهادة لكونهم ماتوا في سبيل نشر المسيحية^(٣).

(١) منظمة الثلاث المقدس: أسس البابا هذه المنظمة في أواخر القرن الثاني عشر وذلك في عام ١١٩٨، وكان الهدف الرئيسي من إنشائها هو العمل على فداء الأسرى المسيحيين الذين كانوا في دول المغرب العربي، وكان مقرها سانت مارتن (Saint Martin) بباريس وكان أعضاؤها يلقبون بإخوة الحمير (Donkey Brothers) ولقبوا بذلك لاستعمالهم الحمير في تنقلاتهم، وقد باشرت هذه المنظمة نشاطها في عام ١١٩٩ بإرسال بعثة إلى مراكش. ثم توالى بعثاتها إلى أنحاء المغرب العربي بحثاً عن الأسرى، وكانت خلالها تمارس النشاط التنصيري بين المسلمين ولكن بحذر وتحفظ، وقد اتسع نشاط هذه المنظمة خلال القرن الثالث عشر للميلاد، حتى أصبح لها أكثر من مائة مركز؛ للمزيد من المعلومات انظر: حسين، المصدر السابق، ص ٤١.

(٢) منظمة عذراء الرحمة: أسس هذه المنظمة الفرنسي بطرس نولاسكو (Nolasco St. Peter)، في عام ١٢١٨، وقد وضع نظامها بالتعاون مع رامون البنيافورتي وكانت ذات طبيعة دينية وعسكرية، وكان الغرض الأساسي من إنشائها هو العمل على إطلاق سراح الأسرى المسيحيين الذين كانوا يتواجدون في دول المغرب العربي، وكان أعضاؤها يرهنون أنفسهم لدى المسلمين مقابل إطلاق سراح هؤلاء الأسرى حتى تدفع الأموال الفداء، وخلال تجوالهم واتصالاتهم بالمسلمين في المغرب العربي كانوا يقومون بنشاطات تنصيرية علنية وقيل أنهم قاموا بحوالي سبعين رحلة إلى دول المغرب العربي والأندلس، للمزيد من المعلومات انظر: حسين، المصدر السابق، ص ٤١.

(٣) حسين، المصدر السابق، ص ٤١.

تم عقد اتفاقية عام ١٥٣٥ بين الملك فرانسوا الأول ملك فرنسا والسلطان العثماني سليمان القانوني على منح بعض الامتيازات للرعايا الفرنسيين وأخذ الرهبان الجزويت الفرنسيون يتوافدون إلى مختلف أقاليم الدولة العثمانية، وكانت المهمة المعلنة لهؤلاء هي تقديم الخدمات والرعاية لأبناء الجاليات المسيحية المستقرة في تلك الأقاليم، وأما الهدف الحقيقي لهم فكان هو تنصير المسلمين وحينما بدأ الضعف يسري في جسد الدولة العثمانية كان ذلك فرصة ثمينة لحركة التنصير عملت على الاستفادة منها بكل قواها في ظل تدخل الدول الأوروبية في شؤونها وفي ظل الامتيازات الأجنبية^(١).

ليس بالأمر اليسير تتبع نشاط هؤلاء المنصرين في أنحاء هذه الدولة، لأنهم كانوا ينتمون إلى هيئات مختلفة ويتبعون دولا استعمارية عديدة كل منها كانت تعمل جاهدة بشتى السبل ومن ضمنها نشاط هؤلاء لنيل نصيبها من تركة الدولة العثمانية^(٢). نذكر مثلا نشاط (جان لو فاشي Jean Le Vacher) الذي يعتبر أشهر المنصرين الذين أرسلوا إلى المغرب العربي في القرن السابع عشر، حيث أقام في تونس أولاً بين عامي (١٦٥٠-١٦٦٨) يعمل بجد لا حدود له في سبيل تدعيم جهود حركة التنصير فيها، ثم انتقل إلى الجزائر للغرض نفسه^(٣).

ثانياً: الاستعانة بالجيش الصليبي:-

تذكر المصادر أن الذي حفز الملك لويس التاسع للقيام بحملته الصليبية إلى إفريقيا لمساندة النشاط التنصيري فيها والتي بدأت في تموز/ يوليو من عام ١٢٧٠، هو ما سمعه من راهب ريموندو مارتين وكان قد درس العربية والعبرية وذهب للتنصير في إفريقية وأقام لفترة في دير بتونس، وكانت له معرفة بالأمير المستنصر حيث كان يستدعيه في بعض الأحيان ليستفسر منه عن أشيائه في النصرانية فضع أن الأمير المستنصر يميل إلى هذه الديانة ويريد أن يعتنقها، وكتب بذلك إلى الملك لويس التاسع واقتنع الملك بذلك^(٤) وقد توقع أن يجعل من شمال إفريقيا وأهلها نصارى وعند وصوله إلى تونس وجد أن الأمر عكس ما توقعه في الوقت ذاته دعا المستنصر أهل إفريقيا إلى الجهاد والتقى الجيشان ونزل الوباء بجيش الملك ثم مات عام ١٢٧٠. وتولى قيادة الحملة أخوه (شارل دانجو)، فتفاوض مع المستنصر من أجل

(١) حسين، المصدر السابق، ص ٦١.

(٢) المصدر نفسه، ص ٦٢.

(٣) عبد الفتاح إسماعيل غراب: العمل التنصيري في العالم العربي، رصد لأهم مراحله التاريخية و المعاصرة، رسالة ماجستير منشورة، مكتبة البدر، (د: ت)، ص ٧٤.

(٤) التازي، المصدر السابق، ص ٢٢٩-٢٣٢.

الانسحاب ورفع الحصار الذي استمر قرابة ثلاثة أشهر^(١). وتضمنت معاهدة الصلح شرطاً واضحاً يقضي أن يفسح المستنصر المجال للمنصرين للقيام بنشاطهم دون أية رقابة أو اعتراض منه عليهم^(٢).

يعتبر فشل هذه الحملة نقطة تحول في تاريخ الحركة الصليبية، فبعد فشل هذه الحملة لم يجد المنصرين بداً سوى الاعتماد على المحور الأول خاصة إن بعض المنصرين المتحمسين قد أبدوا استعدادهم لذلك، حيث استطاعت مجموعة من المنصرين على رأسهم (ريموند لول) المجيء إلى تونس أواخر القرن الثالث عشر قاموا بعرض المسيحية وشرحها بين عوام المسلمين، فقام مفتي تونس الكبير بدعوتهم لمناظرته حيث قال لـ(لول): "إذا كنت تتمسك بان القانون المسيحي هو الصحيح، وان قانون محمد {صلى الله عليه وسلم} غير صحيح فإنك لا بد أن تؤيد رأيك بالأدلة الضرورية"، ولم يتقدم احد لمناظرته، ويعتقد أن هذا التحدي هو ما دفع لول إلى فكرته^(٣). التي دعت إلى إنشاء مراكز يلتقى فيها المنصرون الأساليب المدروسة لتنصير المسلمين^(٤). عاد لول في عام ١٣٠٧ مرة ثانية إلى بجاية بعد أن وضع الخطط التي تبين كيفية التنصير ولكن الأمر انتهى بسجنه وطرده، بعد أن ثار المسلمون في الجزائر عليه ثم عاد مرة ثالثة في أواخر عام ١٣١٥، وكانت الزيارة أيضاً إلى بجاية وقام بالظعن بالإسلام وفي رسول الله من فوق منبر المسجد الجامع بالمدينة فثارت الناس وقتلوه رجماً بالحجارة^(٥).

قام أنسيلمو تورميديا (Anselmo Tormeda) بالقدوم إلى شمال إفريقيا عام ١٣٨٨ ضمن بعثة تنصيرية فرانسيسكانية أرسلت لدعم المنصرين الفرنسيين الذين كانوا مستقرين فيها، وحينما وصل إلى تونس واتصل بمسلميها وشرح الله صدره للإسلام اعتنقه وتسمى بعد ذلك بعبد الله، وعاش في كنف السلطان أبي العباس أحمد المستنصر الثاني الحفصي، ولأنه

(١) حسين، المصدر السابق، ص ٤٤.

(٢) عبد الجليل شلبي: الإرساليات التبشيرية، منشأة المعارف، (القاهرة: ١٩٧٧)، ص ١٥٥؛ سعيد عبد الفتاح عاشور: الحركة الصليبية: صفحة مشرقة في تاريخ الجهاد الإسلامي في العصور الوسطى، مكتبة الانجلو المصرية، (القاهرة: ١٩٩٨)، ج ٢، ص ١٢٣٩.

(٣) ج. ت. نيابي: تاريخ إفريقيا العام، إفريقيا من القرن الثاني عشر إلى القرن السادس عشر، المجلد الرابع، (اليونسكو: ١٩٨٨)، ص ٨٧؛ غراب، المصدر السابق، ص ٧٥.

(٤) حسين، المصدر السابق، ص ٤٥.

(٥) عبد الله الترجمان: تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب، مطبعة التمدن، (القاهرة: ١٩٠٤)، ص ٢-١٠.

كان يجيد أكثر من لغة تولى أعمال الترجمة للسلطان فلقب بالترجمان وبقي في خدمة الدولة الحفصية إلى أن توفي عام ١٤٢٤^(١).

ثم أعقبها فشل الحملة الصليبية التي قادها لويس الثاني دي بوريون عام ١٣٩٠، والتي كان من أبرز أهدافها تنصير المسلمين ليس في دول المغرب العربي فحسب وإنما في أفريقيا كلها مما ترك أثراً سيئاً على النشاط التنصيري في المنطقة وصاحبها حركة مضادة لها لاعتناق المسيحيين الأوروبيين للدين الإسلامي الذين يقيمون في دول المغرب العربي^(٢).

إن نشاط حركة التنصير استمرت طوال القرنين الرابع عشر والخامس عشر بالرغم من الآثار السلبية التي تركتها الحوادث التي جرت في أوربا الغربية وقتئذ على هذه الحركة^(٣). وتوقفت أعمال المنصرين فترة من الزمن لكنهم عادوا إلى نشاطهم عام ١٤١٥، بعدما استولى البرتغاليون على مدينة سبته وبدأوا بالتوغل داخل إقليم المغرب ويعتقد إنهم كانوا مدفوعين بثلاثة عوامل وهي:-

١- **العامل الاقتصادي:** السيطرة على هذه المنطقة يعني الحصول على أسواق تجارية ومواد خام.

٢- **العامل الديني:** الاجتهاد في حرب المسلمين واحتلال موانئهم والسيطرة على تاجرتهم وتحطيم بحرياتهم وأساطيلهم، مما يؤدي إلى كسب ود الجماهير وتشجيعهم على الانضمام إلى الجيوش.

٣- **العامل السياسي:** منافسة قشتاله وأرغون في الوصول إلى منابع الثروة والمواد الخام في الهند وبلاد آسيا. لذلك يعتقد أن العمل التنصيري عند البرتغاليين كان ثانوياً في جميع مناطقهم التي احتلوها إلى إن تم انضمامهم لإسبانيا سيدة العمل التنصيري المسلح^(٤).

بعدها دخل الإسبان إلى بلاد المغرب الكبير وتؤكد المصادر أن دوافع العدوان الإسباني على المغرب كانت دينية، فأعلن فرديناند الكاثوليكي (Ferdinand le Catholique) (١٤٥٢-١٥١٦): "عن تشجيعه لغزو الساحل المغربي الإسلامي وعلى إقامة أسقفية ببجاية وكنيسة بوهرا"، ثم أوصت الملكة إيزابيلا (Isabelle) (١٤٥١-١٥٠٤) بما

(١) شبكة المعلومات الدولية (الانترنت): الجزائر.. أحفاد طارق بن زياد في قبضة

التنصير، على الموقع الإلكتروني، <https://www.yasater.com>

(٢) حسين، المصدر السابق، ص ٥٢.

(٣) حبيون ادوارد: تاريخ إفريقيا العام، اضمحلال الإمبراطورية الرومانية وسقوطها، المجلد

الثالث، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (القاهرة: ١٩٩٧): ج ٣، ص ١٠٤.

(٤) الحناشي، المصدر السابق، ص ٤٥.

يلي: "بوجوب مواصلة فتح إفريقيا وبعدم الانقطاع عن المحاربة من أجل الدين ضد أعداء الدين"^(١). فاستولوا على مدينة مليله عام ١٤٩٧، وعلى مدينة بجاية في عام ١٥١٠، واحتلوا مدينة طرابلس في عام ١٥١٠^(٢).

أما عن الاهتمامات المسيحية الفرنسية فقد بدأت بالاهتمام بالمغرب الأقصى منذ عام ١٦١٩، وذلك لان إسحاق دي رازيبي (de Issac illy) قد ساند فكرة ريشليو^(٣) (Richelieu) (١٥٨٥-١٦٤٢)، والتي تدور حول تعويض البرتغاليين الذين تخلوا عن مصالحهم في المغرب، ولتحقيق ضمانات دينية وتجارية أخرى تحول (آباء كبوشيون) إلى مكناس وسلا لمؤازرة العبيد والمرتزة المسيحيين^(٤). بعدها بدأت الأوضاع في المغرب الأقصى تتدهور بعد عصر المولى محمد بن عبد الله (١٧٥٧-١٧٩٠)، واتضحت خلاله الأطماع الأوربية^(٥).

ثالثاً: وجوه أخرى للتنصير:-

بعد أن احتل الإسبان طرابلس حاولوا أن يجعلوا منها اندلساً أخرى^(٦). ونظراً للمقاومة العنيفة والصامدة التي أبداهها المسلمون من أبناء البلد وتقديم التضحيات الكبيرة، حصلت المقاومة على مساعدات خارجية كانت تأتي من الجزائر ومصر فيما بعد^(٧). الأمر الذي أدى إلى تحجيم العمل التنصيري، وعندما أراد الإسبان هدم القلعة الطرابلسية ومساجدها،

(١) غراب، المصدر السابق، ص ٧٦.

(٢) الحناشي، المصدر السابق، ص ٤٤.

(٣) ريشليو Richelieu (١٥٨٥-١٦٤٢): هو كردينال فرنسي ووزير الملك لويس الثالث عشر ثم كاهن بمدينة ليسون (Lucon) إلى نائب وخطيب للأكليروس عام ١٦٤١، حقق ريشليو أهدافاً ثلاثة منذ توليه الوزارة عام ١٦٢٤ وهي: القضاء على النزعة البروتستانتية بفرنسا وإخضاع رجال الأعمال النمساويين. وأوجد السلطة المطلقة للملك. ويعتبر ريشليو أول مؤسس للإمبراطورية الاستعمارية الفرنسية (كندان المرتينيك، سان دومينيك، الغواد لوب كيبان)؛ للمزيد من المعلومات انظر: الحناشي، المصدر السابق، ص ٤٤.

(٤) الحناشي، المصدر السابق، ص ٤٣.

(٥) محمد الغزالي: التعصب والتسامح بين المسيحية والإسلام، نهضة مصر للطباعة والنشر، ط ٦، (القاهرة: ٢٠٠٥).

(٦) محمد مصطفى بازامة: ليبيا في عشرين سنة من حكم الأسبان ١٥١٠-١٥٣٠، (ليبيا: ١٩٦٥)، ص ١٠٢-١١١.

(٧) جون رايت: ليبيا منذ أقدم العصور، ترجمة عبد الحفيظ الميار واحمد اليازوري، دار القرجاني، ط ١، (طرابلس: ١٩٧٢)، ص ٨٩.

حاول المسلمون منهم من ذلك فأطلق عليهم الإسبان نيران مدافعهم وقاموا بقتل (٥٠٠٠ شخص) في الشوارع^(١).

اعتقل الإسبان حاكم المدينة عبد الله شرف الذي كانت له شعبية عظيمة وسط السكان لإضعاف مقاومة التي قام بها السكان هذا من ناحية ومن ناحية أخرى ربما تطلعوا إلى محاولة إغرائه ليكون عوناً لهم على تنصير سكان المدينة ولا سيما بعد فرارهم إلى تاجوراء^(٢).

أصدر نائب الملك في مدينة كاتينا في ٦ تشرين الأول/أكتوبر عام ١٥١١ نداء موجهاً إلى المسيحيين الكاثوليك في إسبانيا والبرتغال أعلن فيه: "بأن الذين يرغبون في السكن بطرابلس سيمنحون مساكن ملائمة وأراضي يزرعونها وإعفاء من الضرائب والإتاوات لمدة عشر سنوات والعفو عن أية جنائية مدنية أو جريمة قد ارتكبوها"^(٣).

لكن فيما يبدو أن الأنباء التي شاعت عن حركة المقاومة الطرابلسية كان لها أثر قوي في نفوس المواطنين الإسبان حيث إنهم رفضوا الاستجابة لكل هذه المغريات المقدمة من حكومتهم وبذلك أخفق الحكم الإسباني الكاثوليكي في استقدام مستوطنين مسيحيين ليستقروا في طرابلس، ليتسنى لهم إنشاء أقلية مسيحية يستطيعون من خلالها ممارسة عملهم التنصيري ولذلك فإن المدينة ظلت خالية من السكان فيما عدا أفراد الحامية الذين بذلوا جهودهم في محاولة منهم لاستتباب الأمن وتهئية الموقف باحتواء حركة المقاومة لعل ذلك يستهوي نفراً من المسيحيين الإسبان للمجيء إلى طرابلس ولكن يبدو أن حركة المقاومة أجبرتهم على أن يركزوا جهودهم في الدفاع عن الميناء والقلعة^(٤).

نظراً لما كانت تقوم به حركة المقاومة المتمركزة في تاجوراء بين الحين والآخر لمناهضة المستعمر الأمر الذي أدى إلى فشل الإسبان في تأسيس منطقة نفوذ مسيحية كاثوليكية لهم، فحاول الإسبان احتواء هذه الحركة عن طريق إعادة عبد الله شرف المرابط حاكماً على مدينة طرابلس عام ١٥٢٣، بعد فترة اعتقال دامت ثلاثة عشر عاماً عله يستطيع

(١) عبد اللطيف محمود البرغوثي: تاريخ ليبيا من الفتح الإسلامي حتى بداية العصر العثماني، منشورات الجامعة الليبية، (بيروت: ن)، ص ٤١٤؛ بازمة، المصدر السابق، ص ٦١-٦٢.

(٢) غراب، المصدر السابق، ص ٩٠.

(٣) رايت، المصدر السابق، ص ٩٠.

(٤) غراب، المصدر السابق، ص ٧٨.

أن يساعدهم في الوصول إلى هدفهم، ولكن الشيخ قد تبين له نوايا إسبانيا التنصيرية فالتحق بالمجاهدين في تاجوراء عام ١٥٢٤^(١).

تقدم الملك شارلكان وهو(شارل الخامس) بعرض إلى فرسان القديس يوحنا^(٢). مفاده أن يتنازل لهم عن مالطة وبعض المدن الأخرى بشرط تحملهم مسؤولية الدفاع عن طرابلس الغرب التي تحقق لإسبانيا مكاسب مادية ومعنوية. وقام مجلس منظمة الفرسان عام ١٥٢٤ بإرسال وفد مكون من ثمانية فرسان لدراسة وضع الحصن الاستراتيجي والطبيعي كما قاموا أيضا بدراسة مدينة طرابلس، ومدى تحصيناتها وقدره الفرسان على الاحتفاظ بها والإمكانات المادية والعسكرية التي يجب توفيرها لهذا الغرض لكن لم يأت تقريرهم^(٣) مشجعا لجماعة الفرسان ولكن رفضهم يعني عدم الحصول على مالطة فلجأت المنظمة إلى المماطلة حيث لم يكن هناك مجال للاختيار فاتخذ المجلس قرارا بقبول العرض عام ١٥٣٠^(٤). وبقي الفرسان في طرابلس الغرب إحدى وعشرين سنة حاولوا فيها القضاء على حركة المقاومة المتمركزة في تاجوراء للاستفادة من الموقع الاستراتيجي للمنطقة ولكنهم لم يتمكنوا من ذلك.

كان على عرش البرتغال(سباستيان) في عام ١٥٧٥، والذي ترى على أيدي قساوسة الجزويت (اليسوعيين) وهؤلاء زرعوا في نفسه فكرة انه يستطيع مضاهاة جده. بالاستيلاء على المغرب وتحويله إلى بلاد نصرانية حيث لم يكن للبرتغال وقتها سوى طنجه وسبته والقصر الكبير فلقبت دعوة(المتوكل) إياه لمعاونته على استعادة ملكه في المغرب في المقابل يتخلى المتوكل عن كل سواحل المغرب، فوافق الملك وأرسل قوة عسكرية لمعاونته. فكانت معركة وادي المخازن في عام ١٥٧٨، المعركة حاسمة في تاريخ المغرب فقد انقطعت سيطرة البرتغال والإسبان عنه سوى من سبته ومليله اللتين في يد الإسبان^(٥).

أصبحت دول شمال افريقيا تحت نفوذ العثماني وخاصة تونس والجزائر وليبيا عام ١٥٧٨، وبموجب الاتفاق الذي وقع بين فرنسا والدولة العثمانية والذي بموجبه سمحت الدولة العثمانية بالوجود الفرنسي في البلدان التي في حوزتها قام الفرنسيون بإنشاء مستشفى في ليبيا في هذا القرن وكان يستقبل مرضى من جميع الأديان وتشرف عليه راهبات يسوعيات^(٦).

(١) البرغوثي، المصدر السابق، ص ٤٢٧.

(٢) بازامة، المصدر السابق، ص ١٠٥-١٠٦.

(٣) البرغوثي، المصدر السابق، ص ٤٢٢.

(٤) جبيون، المصدر السابق، ج ٣، ص ١٧٥.

(٥) ادوارد، المصدر السابق، ص ١٧٥.

(٦) غراب، المصدر السابق، ص ٨١.

كانت الامتيازات التي منحتها الدولة العثمانية للدول الأوروبية والتي استفادت منها هذه الدول في أنحاء الدولة العثمانية حيث توافد على المغرب العربي وخاصة ليبيا جماعات من الأوروبيين غالباً من المالطيين والإيطاليين واليونانيين... الخ. وحيث كان من الممكن إنشاء كنيسة صغيرة فإن المنصرين وهم في الغالب إيطاليون صاروا ينشئون المدارس لتعليم الأطفال الطقوس المسيحية، كما قامت فرنسا بإنشاء أول قنصلية لها بتونس في عام ١٥٧٧ ومن خلالها استطاعت فرنسا أن ترسل المنصرين والرحالة الأجانب تحت حمايتها الأمر الذي سبب اضطراباً في بعض أنحاء الدولة العثمانية، وبعد ذلك أتى الكويشيون وأصبحت في تونس نيابة رسوليه يديرها المطران (سوتر) وهو كبوشي إيطالي. استقر المنصرون الفرنسيون في طرابلس في عام ١٨١٠، وافتتحوا مدرسة ابتدائية صغيرة للأطفال المسيحيين، وقد التحق بها عدد قليل من الأطفال الليبيين^(١).

كما أصدر البابا غريغوار الخامس عشر (Gregoire XV) (١٥٥٤-١٦٢٢) مرسوماً يعترف بقداية الدعوة التبشيرية وذلك في ٢٢ حزيران/يونيو عام ١٦٢٢، وأتبع ذلك بوثيقة تأمر بنشر المسيحية في العالم^(٢).

أنواع الإرساليات التي قدمت إلى المغرب العربي خلال هذه الفترة

السنة	١٦٢١	١٦٢١	١٦٢٥	١٦٤٩	١٦٩٨	١٧٠١	١٧٠٣	١٧٠٦	١٧٣٢
الجنسية	فرنسية	روسية	فرنسية	انكليزية	انكليزية	انكليزية	فرنسية	دانماركية	بوهيمية
اسم الارسالية	مبشرو الخارج	أسقفية طوبلسك	الآباء العزاريون	جماعة نشر الإنجيل	جمعية التعريف بالمسيحية	جماعة التاج المسيحي	جماعة الروح القدس	جماعة لوثر	المبشرون الجدد

تزايد الاهتمام التبشيري بالشمال افريقيا ففي عام ١٦٨١ قدم أربعة آباء إلى مدن الساحل. وبعث البابا غريغوار الخامس عشر (Gregoire XV) (١٥٥٤-١٦٢٣) الطائفة الرومانية للدعاية. ثم أسس البابا أربان الثامن (Urbain VIII) (١٦٢٣-١٦٢٧) المدرسة الدعائية لتكوين المبشرين العلميين عام ١٦٢٧. وفي عام ١٦٣٢ تأسست في باريس جمعية التبشير بالخارج وأنشأت لنفسها معهداً تعليمياً^(٣).

(١) غراب، المصدر السابق، ص ٨١.

(٢) المصدر نفسه، ص ٣٨.

(٣) الحناشي، المصدر السابق، ص ٤٧.

أما في عهد مولاي سيدي محمد بن عبد الرحمن (١٨٥٩-١٨٧٣) فقد أصبحت الإيالة المغربية تحت تأثير البعثات التبشيرية من جديد حيث الامتيازات لرواد المسيحية ودعاتها بمقتضى المعاهدة المغربية- الأسبانية عام ١٨٦١. تم تأسيس المراكز التبشيرية وبناء الكنائس وجلب المبشرين. لقد نصت المعاهدة على أن: "يتساوى الرعايا والمحميون الإسبان سواء كانوا نصارى أو مسلمين أو يهود في التمتع بجميع الحقوق والفوائد المعترف بها بهذه المعاهدة"^(١).

(١) الحناشي، المصدر السابق ، ص ٥٥.

المبحث الثاني

العمل التنصيري في المغرب العربي منذ عام ١٨٣٠ وحتى الاستقلال

تزايد اهتمام الدول الغربية بإفريقيا بشكل عام وبشمال إفريقيا بشكل خاص منذ عام ١٨٣٠ لعدة عوامل أهمها:-

ظهرت إرساليات جديدة منها جماعة مريم المتبثلة في عام ١٨٤٨، والإرسالية الأفريقية بليون في عام ١٨٥٦، وجماعة الأب شلوت في عام ١٨٦٢، جماعة الأب ميل-هيل في عام ١٨٦٦، جماعة فيرونا للتبشير في عام ١٨٦٧، تراجع الجهود التنصيرية في القارة الآسيوية. والقرب الجغرافي لإفريقيا من أوروبا وتواضع وسائل دفاع شعوب إفريقيا. وترابط أهداف الرواد الجغرافيين وجهود المنصرين. وزعامة البابا بيوس التاسع^(١) لسياسة الحركات التنصيرية. والتعلل بمقاومة تجارة العبيد وهي إحدى الذرائع التي اعتمدها لافيجيري وساندها البابا ليون الثالث عشر (Leon XIII) عام ١٨٨٨. وتحولات أوروبا خلال القرن التاسع عشرة إلى التوسعات الاستعمارية لدوافع اقتصادية وسياسية وعسكرية ثم اجتماعية^(٢).

كان التنصير الفرنسي في الشرق يعتمد على سياسة فرنسا وعلاقتها التجارية، بينما أصبح مصدراً للدبلوماسية الفرنسية في شمال إفريقيا على الرغم من وجود علاقات دبلوماسية بين فرنسا والجزائر منذ عام ١٥٦٤ ومع المغرب الأقصى منذ عام ١٥٧٧ ومع تونس منذ عام ١٥٨٢. ولم يحل القرن التاسع عشر حتى تأكد دور المنصرين في دعم الاستعمار^(٣). ف وقعت الجزائر تحت الاحتلال الفرنسي في عام ١٨٣٠ ثم تونس في عام ١٨٨١ ودخلت ليبيا تحت الاحتلال الإيطالي في عام ١٩١١، ثم تحت الحماية البريطانية والفرنسية في عام ١٩٤٣، والمملكة المغربية تحت الاحتلال الفرنسي في عام ١٩١٢.

أول الأعمال التي قام بها المنصرين والمستعمرون على حد سواء هي محاولة كتابة تاريخ الكنيسة الأفريقية، والعودة إلى العهدين الروماني والبيزنطي لتعطي للعمل التنصيري أساساً تاريخياً تضرب جذورها في الأعماق وتعود إلى قرون بعيدة وتظهر أن الفتح الإسلامي وانتشار الإسلام في هذه البلاد كان "حدثاً طارئاً نحا بالحياة فيها منحى خاطئاً يقتضي

(١) البابا بيوس التاسع: ولد في ١٣ ايار عام ١٧٩٢ في سينغاليا بعد ان انهى دروسه أصبح كاهن في ١٨١٨، ثم أصبح كاهن في ١٨٣١ ثم رئيساً لاساقفه سبوليت، بعدها أصبح كردينالا عام ١٨٤٠، للمزيد من المعلومات ينظر: المعرفة: بيوس التاسع، متاح على شبكة المعلومات الدولية (الانترنت)، على الموقع الإلكتروني <https://m.marefa.org/>

(٢) حسين، المصدر السابق، ص ٧٢.

(٣) الحناشي، المصدر السابق، ص ٥٤.

التصحيح"، وكان الراهب (جان مسناج Jean Me'snage) من أبرز الذين كرسوا جهدهم لهذا العمل، فألف كتابه المسمى (المسيحية في إفريقيا) الذي أحدث ضجة كبيرة في الأوساط الثقافية والكنيسة^(١).

عمل مبشرون في القرن التاسع عشر في المغرب الأقصى على مقاومة القانون الشرعي وإحياء الأعراف القبلية وإخضاعها للقانون الأجنبي (الفرنسي أو الإسباني) كما حاولوا القضاء على اللغة العربية باهتمامهم باللهجة البربرية وبذلك تضمنل المدارس القرآنية وفي ذلك توافق بين التنصير والاستعمار: "إن العاطفة المسيحية تملّي حماية المسيحيين بشمال إفريقيا... الأرض التي ازدهرت كنائسها إلا أن خربها البرابرة واضطهدوا ثمانية آلاف مسيحي"، وقد استطاع الأب دوفوكو بوسائل إغراء الطوارق، أن يجعلهم يقبلون عليه ويشاورونه في شؤونهم حتى. وقيل فيه بانه: "يساوي أكثر من طابور احتلال كامل"^(٢).

احتضنت دول أوروبا في النصف الثاني من القرن التاسع الحملات التنصيرية، فالكاثوليكية في حماية فرنسا والارثودوكسية تحت رعاية روسيا والبروتستانتية تدعمها انكلترا. والهدف من الوقوف وراء التبشير هو الرغبة في تنشئة جيل يدين بالولاء للدولة الاوربية التي تحمي المدرسة التبشيرية زيادة عن الولاء للثقافة الغربية والتتصل من الشخصية العربية والدين واللغة^(٣).

نشطت الكنيسة في ذلك الوقت في تنظيم هياكلها ومؤسساتها التنصيرية في المغرب العربي معتمدة في ذلك على العلاقة الوطيدة التي تربطها بالسلطات الاستعمارية، فدب النشاط من جديد في جمعية المنصرين في الجزائر، وقد أعطى قانون الأبرشية الصادر في عام ١٨٤٩ دفعة قوية لهذه الجهود، حيث أكد على الرهبان المنصرين المتواجدين في تلك البلاد ضرورة تحين الفرص لتنصير المسلمين والذي تعتبر دراسة اللغة العربية أمثل السبل المؤدية إليه. ويعتبر فرانسوا بورجاد (Francois Bourgade) (١٨٠٦-١٨٦٦) أول من تزعم حركة التنصير في المغرب العربي في ذلك القرن ومن أكثرهم نشاطاً. واستهل بورجاد جهوده في الجزائر حيث أقام فيها عدة سنوات ينظم فيها نشاطات هذه الحركة ويحشد الطاقات والإمكانات لها ويشرف على توجيهها. ثم أنتقل إلى تونس عام ١٨٤٠ مرافقا "لأخوات الصفا الساعيات في مصالح الفقراء والمرضى ابتغاء مرضاة الله" اللواتي غادرن الجزائر لخلافهن مع أسقفها، حيث برز دوره التنصيري بشكل أوضح، وطبق أساليب التنصير الجديدة فأسس

(١) الحناشي، المصدر السابق، ص ٥٥.

(٢) حسين، المصدر السابق، ص ٧٣.

(٣) الحبيب الجنحاني: من قضايا الفكر، الشركة التونسية للتوزيع، (تونس: ١٩٧٥)، ص ١٣٦.

مدرسة ومعهد سان لويس ومستشفى، ومطبعة حجرية^(١). وشرع في تأليف كتب تركز على قضايا الأديان بأسلوب الحوار البسيط ليصل في نهاية هذا الحوار إلى تفضيل المسيحية على الإسلام، ويعتبر كتابه (مسامرة قرطاجنة) من أشهر هذه المؤلفات الذي نشر بالفرنسية في عام ١٨٤٧، ثم ترجم إلى العربية في عام ١٨٥٠، ولديه مؤلفاته أخرى منها كتاب (مفتاح القرآن)، و(المرور من القرآن إلى الإنجيل)^(٢).

لم يكتف بورغاد بذلك بل أسس في عام ١٨٤٧ جمعية للأغراض التنصيرية أطلق عليها (جمعية سان لويس) أو جمعية القديس لويس، إحياء لذكرى لويس التاسع ملك فرنسا. ثم غادر تونس بعد إقامة قاربت العشر سنوات ليواصل نشاطه في باريس حيث تقلد وسام الشرف الفرنسي على الجهود الذي بذلها في خدمة بلاده بعامة والحركة التنصيرية بخاصة في المغرب العربي^(٣).

وخلف بورغاد في ميدان التنصير في المغرب العربي منصر آخر لا يقل عنه حماساً، بل فاقه نشاطاً ونعني به (الكاردينال لافيغيري (Lavigerie) (١٨٢٥-١٨٩٢) في عام ١٨٦٧ عينه حاكم الجزائر العام الفرنسي المارشال ماكماهون أسقفاً لتلك البلاد بعد أن كانت الحكومة الفرنسية قد أنعمت عليه في عام ١٨٦١ بوسام الشرف الفرنسي تقديراً منها لجهوده في الشرق^(٤). فبعد تعيينه كتب إلى المنصرين المتواجدين في الجزائر في ٥ أيار/ مايو عام ١٨٦٧ قائلاً: "سأتيكم إخواني الأعزاء، في ساعة مشهورة في تاريخ إفريقية المسيحية... الكنيسة وفرنسا متفقة على إحياء أمجاد الماضي"^(٥).

لذا عمل على تنصير مسلمي البلاد فحسب، وإنما أيضاً على دمجهم بالفرنسيين، وللوصول إلى ذلك وضع مشروعاً متكاملاً يتلخص في وجوب تربية أطفال المسلمين تربية مسيحية^(٦)، والذي لاقى دعماً كبيراً من السلطات الاستعمارية الفرنسية، ولم يخف هدفه من هذا المشروع، فهو يقول: "وإذا ما تمت المواظبة على هذا المشروع أي مشروع تربية الأطفال فإنه سيكون لنا بعد بضع سنوات مشتل من العمال النافعين المؤيدين لاستعمارنا الفرنسي

(١) حسين، المصدر السابق، ص ٧٤.

(٢) الجنحاني، المصدر السابق، ص ١٣٧.

(٣) المصدر نفسه، ص ١٣٨.

(٤) حسين، المصدر السابق، ص ٧٥.

(٥) الجنحاني، المصدر السابق، ص ١٣٨-١٣٩.

(٦) خديجة بقطاش: الحركة التبشيرية الفرنسية في الجزائر ١٨٣٠-١٨٧١، (الجزائر:

١٩٧٧)، ص ١١٢.

والأصدقاء له، ولنقلها بوضوح: من العرب المسيحيين، إن هؤلاء الأطفال المساكين الجاهلين غاية الجهل بكل شيء سواء بأمور دينهم، أو بغيرها، ليس لهم حتى من هذه الوجهة أي رأي مسبق وأي نفور منا، ولا شك في أن الكثير منهم متى استفادوا من أقوالنا -أي دعوتهم للمسيحية- فإنهم سيطلبون بأنفسهم يوماً ما التعميد"^(١).

حدثت مجاعة في الجزائر ما بين عامي (١٨٦٧-١٨٦٨) فاغتنم لافيجيري ليفتح باب التنصير على مصرعيه، بحيث استغل وضع المرضى والجياح فأنقذهم من الهلاك باسم الصليب وهكذا فقد جمع حوله ما يقرب من (١٨٠٠ طفل) بين مشرد ومريض ووزعهم على مختلف المراكز والملاجئ التي أنشأها في بوزريعة وبولوجين وأبن عنكون والأبيار والقبة وبوفاريك ومدينة الجزائر قصد معالجتهم وتنصيرهم^(٢).

وضع لافيجيري مسلمي الجزائر ومستقبل المغرب العربي أمام خيارين، إما التنصير، أو الطرد خارج المعمور إلى الصحراء الكبرى ليلاقوا مصيرهم الذي ينتظرهم، ومن يقرر هذا المصير لهم؟ يقرره رجل دين يتبوأ أعلى مرتبة في سلك الكهنوت الكاثوليكي بعد البابا^(٣).
لقد وجدت آراء لافيجيري المتطرفة وتهجمه على الإسلام معارضة من السلطات الاستعمارية الفرنسية حتى من ماكماهون نفسه خشية إثارة المتاعب في وجه هذه السلطات التي كانت لها سياستها الأخرى الخاصة بها لإحكام قبضتها على البلاد، إلا أنه لم يكتف بعدم الانصياع لنصائح السلطات المذكورة وحتى لتعليمات الإمبراطور نابليون الثالث الذي وصلته أنباء هذا الخلاف بين الطرفين فطلب منه التحلي بالمرونة^(٤)، بل مضى قدماً في تنفيذ سياسته مستغلاً مجاعة عام ١٨٦٨ حيث أنشأ داراً لرعاية الأيتام في وادي شليف، وبث رهبان طريقته أو جمعيته الجديدة (جمعية مبشري إفريقية) التي عرف أعضاؤها (بالآباء البيض)، في انحاء البلاد لجمع الأطفال اليتامى لإيوائهم في تلك الدار تمهيداً لتنصيرهم^(٥)، املاً أن تتطور الدار المذكورة ومثيلاتها التي كان يرغب في إنشائها لتصبح قرى عربية مسيحية والتي ستصبح بدورها نواة لإفريقيا المسيحية، وليس ذلك فحسب، وإنما اخذ يوجه انتقادات علنية للسلطات الحاكمة التي أرادها أن تكون الحامية لسياسته التنصيرية على ما اعتبره تراخياً منها في مساندة تلك السياسة، وصح ما توقعته تلك السلطات إذ لم تلبث أن اشتعلت في منطقة

(١) حسين، المصدر السابق، ص ٧٦.

(٢) الجنحاني، المصدر السابق، ص ١٣٩ - ١٤٠.

(٣) حسين، المصدر السابق، ص ٧٧.

(٤) الجنحاني، المصدر السابق، ص ١٤١.

(٥) بقطاش، المصدر السابق، ص ١٢٩.

القبائل ثورة كبرى هي ثورة المقراني (١٨٧٠-١٨٧١) التي كانت سياسة لافيجيري التنصيرية أحد أسبابها الرئيسية^(١).

اسس لافيجيري فرقة الآباء البيض في ١٠ أيار/ مايو عام ١٨٦٩ ووجه نداء إلى كل المدارس الاكليريكية بفرنسا يحثها على الانضمام إلى هذه الفرقة. مؤكداً ان هدف هذه الفرقة هو: " للوقوف أمام تقدم الإسلام المخيف منذ بداية القرن التاسع عشر فالدين المحمدي الذي أبدى ضعفه بضعف سلاطين بني عثمان في أوربا، وأصبح يزحف على الممتلكات الفرنسية بإفريقيا، ولذ وجبت مقاومته"^(٢).

كان طموحات لافيجيري تتجاوز حدود الجزائر بكثير لذلك لم يلبث أن وسع دائرة نشاطاته حينما تم تعيينه أسقفاً لتونس للجزائر، فقامت سياسته فيها على دعامين رئيسيتين متساندتين هي بعث أمجاد المسيحيين فيها وتنشيط حركة التنصير ثم التمهيد لبسط الحماية الفرنسية عليها وفي الاتجاه الأول أهتم بإنشاء كنيسة سان لويس في قرطاج، حيث أقيمت في الموضع الذي يعتقد بأنه ضم رفات الملك لويس التاسع بصفة مؤقتة إثر وفاته إبان حوادث الحملة الصليبية الثامنة التي قادها إلى مصر، لحين رحيل الصليبيين ونقله معهم، فضلاً عن إنشاء فرع لرهبان جمعية الآباء البيض في تونس، والعمل على تنفيذ مشروعه فيها أيضاً أسوة بما تم في الجزائر، وأما في الاتجاه الثاني فقد عمل جاهداً على إدخال تونس في حظيرة الاستعمار الفرنسي، فكان هو الذي رفع شعاره "انتصاب حماية فرنسا الدينية" عليها، وكان المرجع الأهم لكل من (قامبتا)، و (جول فيري) ودليلهما في وضع خطة احتلال تونس، حيث كتب لويس بيرترو عام ١٩٢٥ بمناسبة مرور قرن على ميلاد لافيجيري يقول: "لو لم يقم إلا بتهيئة انتصاب حمايتنا على تونس، تلك الحماية التي كان يمكن عقدها قبل الأوان الذي عقدت فيه لو استمع إليه، وبأقل مما كلفتنا من الرجال والأموال بكثير لاستحق كل اعتراف بالجميل من الوطن إلّام"^(٣).

واصلت هذه الحركة العمل بسياسة لافيجيري التنصيرية في المنطقة فيما بعد، حيث فتح لها ميدانا آخر في مطلع القرن العشرين هو المغرب الأقصى، إذ منذ فرض الحماية الفرنسية عليه بوشر في تنفيذ تلك السياسة، وأخذ المنصرون يجوبون القرى والبادي يدعون الأهالي إلى النصرانية مستعملين في ذلك الكثير من الإغراءات لجذبهم من ناحية ولإحداث

(١) الجنحاني، المصدر السابق، ص ١٤٢

(٢) حسين، المصدر السابق، ص ٨١.

(٣) الحناشي، المصدر السابق، ص ٨٥-٨٦ .

الخلل في المجتمع وحل عرى روابطه ليسهل التسلل إليه من ناحية ثانية^(١)، بوشر في بث روح الشقاق بين العرب والبربر فيه، وما الظهير البربري^(٢) إلا أحد الأدلة الهامة على ذلك.

اتضح أساليب التنصير في المغرب الأقصى أيضا مع شارل دو فوكو (Charles Foucauld de) (١٨٥٨-١٩٦١)، الذي كان يسجل الأخبار والمعلومات لتبليغها إلى رجال الاستعلامات الاستعمارية حاول وهو في الجزائر أن ينصر الكبار ففشل، وحاول استيعاب الصغار لتتنسنتهم ففشل أتجه نحو الطوارق واستقر في منطقة عين صالح إلى أن قتل. واعتبر المؤرخون العرب: "إن دوفوكو نموذج للتبشير لا في المغرب الأقصى بل في كل شمال إفريقيا". لاقتناعه أن تنصير المسلمين هو الوسيلة الوحيدة لتكتسح فرنسا هذه المنطقة وتبقى فيها. فكتب في ١٦ تموز/ يوليو عام ١٩١٦: "أعتقد انه لم يتم تنصير السكان المسلمين في شمال إفريقيا ستقوم حركة وطنية على غرار ما حدث بتركيا"^(٣).

لم تحقق حركة التنصير في دول المغرب العربي نتائج تذكر، فبالرغم من الإمكانيات الضخمة التي وضعت تحت تصرفها، والدعم والمساندة اللذين كانت تتلقاهما من البابوية ومن القائمين على الحركة الصليبية، وإنها تحالفت مع الدول الاستعمارية بجبروتها وقدراتها العاتية، وبالرغم من كل ذلك، فشلت فشلاً ذريعاً في تحقيق ما كانت تصبو إليه^(٤). فلقد أكد الراهب (قسطنطيني Constantini) سكرتير الدعاية المقدسة، واحد مشاهير القائمين على حركة التنصير في القرن العشرين، قد أعلن في عام ١٩٤٠ فشل هذه الحركة في تحقيق الكثير من أهدافها بالرغم من التغيير الذي طرأ على أساليبها في هذا القرن على يد البابا (بي الحادي عشر) عام ١٩٢٢، و(بي الثاني عشر) عام ١٩٣٩، ويضيف انه بالرغم من: "الجهود الجبارة التي بذلت خلال القرون الأربعة السابقة، فإن النتيجة المحصلة لم تزد عن

(١) حسين، المصدر السابق، ص ٨٢.

(٢) الظهير البربري: هو القانون الذي اصدره الاحتلال الفرنسي للمغرب في ١٦ ايار في عام ١٩٣٠، ونص هذا الظهير على جعل إدارة المنطقة البربرية تحت سلطة الادارة الاستعمارية، فيما تبقى المناطق العربية تحت سلطة حكومة المخزن والسلطان المغربي وتم انشاء محاكم على اساس العرف والعادة المحلية للبربر واحلال قانون العقوبات الشريفى المستند الى الشريعة الاسلامية؛ للمزيد من المعلومات ينظر: المحتوى العربي: تعريف الظهير البربري، شبكة المعلومات الدولية (الانترنت)، على الموقع الالكتروني، <https://almhtwa.com>

(٣) الجنحاني، المصدر السابق، ص ١٤٤.

(٤) يحيى أبو زكريا: من يقف وراء التنصير في منطقة القبائل في الجزائر، على شبكة المعلومات الدولية (الانترنت)، على موقع هداية الحيارى الالكتروني، <https://hidayat-alhayara.com>

كونها كقطرة في المحيط"، فضلاً عن ما صرحت به الفاتيكان نفسها في تلك الرسالة التي وجهتها إلى رئيس الأساقفة الاجتماعية في فرنسا بمناسبة تنظيم أيام مسيحية في ليون عام ١٩٤٨ حيث اعترفت فيها بفشل سياسة التنصير في المستعمرات^(١). مارس المنصرون عملهم في كافة أنحاء هذه الدول بدرجات متفاوتة وكانت محاور العمل التنصيري في تلك الحقبة على النحو الآتي:-

أولاً: تثبيت الهوية المسيحية بين الجنود لاستخدامهم كمعمرين:-

قامت الكنيسة بالتوغل في الوسط الأوربي الموجود في الجزائر في بداية الأمر تمهيداً للمهمة الكبرى وهي استعادة أمجاد كنيسة القديس (أوغسطين) والمطالبة بإعادة الإيمان المسيحي الذي أدخل عنوة في الدين الإسلامي (على حد قولهم) فقام القساوسة بتوجيه بين الجنود الفرنسيين أولاً وأقنعوهم بأن الهلال يجب أن ينحدر في الجزائر لتعود الجزائر إلى أحضان الصليب، مؤكدين لهم بأن المهمة في الجزائر ليست سياسية استعمارية بقدر ما هي دينية مقدسة^(٢). أن التوغل داخل المجتمع الكولونيالي تم بطريقة عادية بحيث لم تشكل هذه العملية أي شكل من أشكال الوخز الاجتماعي والسيكولوجي، وذلك على الرغم من العداء الظاهري تجاه رجل الدين المسيحي في الغرب^(٣).

ويمكننا إرجاع السبب في ذلك إلى أن الكنيسة مظهر عمراني مألوف في الوسط الأوربي وإن كان غير مرغوب فيه، حتى لو كان هؤلاء الأوربيون المعمرين غير متدينين أصلاً، ولقد أدخلت الكنيسة الطقوس التقليدية والفلكلورية للمجتمع الأوربي بالجزائر كحاجة للتخفيف من الشعور بالغربة الاختيارية للمعمرين المهاجرين إلى بلد لا تربطهم غير رابطة الريح ورأس المال.

(١) غراب، المصدر السابق، ص ٨٢.

(٢) المصدر نفسه، ص ٨٣

(٣) شبكة المعلومات الدولية (الانترنت)، مظاهر الصراع الثقافي السياسي تحت الاحتلال الفرنسي للجزائر، شبكة المعلومات الدولية (الانترنت)، على الموقع الإلكتروني،

<https://www.startimes.com>

ثانياً: محاولة القضاء على المظاهر الإسلامية:-

١- مصادرة الأوقاف: أصدر (دوبرمان) مرسوماً في ٨ أيلول/ سبتمبر عام ١٨٣٠ يقضي بمصادرة الأوقاف الإسلامية والاستيلاء عليها وتوزيعها على المعمرين خاصة في تونس والجزائر^(١).

كما أصدر الجنرال كلوزيل في الجزائر قرار بضم الأملاك الدينية وهي: (تشمل أوقاف مكة والمدينة والمساجد والزوايا) إلى مصلحة أملاك الدولة وذلك في ٧ كانون الأول/ ديسمبر عام ١٨٣٠^(٢).

٢- هدم المؤسسات الدينية الإسلامية: كان يوجد بالجزائر على حوالي (١٧٦) مؤسسة دينية عام ١٨٣٠ فأصبح لا يتعدى (٤٨) مؤسسة بعد عمليات الدمار والتحويل^(٣). لقد قام الفرنسيون بتحويل معظم المساجد الجزائرية التاريخية إلى كنائس والبعض الآخر إلى إسبيلات لخيول الجنود الفرنسيين، فقام الجنرال (روفيغو) بهدم مسجد كتشاوة بعد أن وقتل فيه من المصلين ما يفوق أربعة آلاف مسلم قائم يصلي، وقال: "يلزمني أجمل مسجد في المدينة لنجعل منه كنيسة للمسيحيين"، فتم تحطيم المسجد في ١٧ كانون الأول/ ديسمبر عام ١٨٣٢ وهذه المناسبة بعثت الملكة إميلي زوجة (لويس فليب) هدايا ثمينة للكنيسة الجديدة، أما الملك فأرسل ستائر من القماش الرفيع وبعث لبابا (غريغوريوس السادس عشر)^(٤)، تماثيل للقديسين للتبرك بها وأعرب عن امتنانه وشكره للذين قاموا بهذا العمل وعلق الجنرال (روفيغو) بقوله: "إنني فخور بهذه النتائج، فلأول مرة تثبت الكنيسة في بلاد البربر"، وحول هذا المسجد إلى كنيسة القديس فليب واختار القس كولان يوم ٢٤ كانون الأول/ ديسمبر لجعله كاتدرائية القديس فليب^(٥).

أما مسجد السيدة فقام الجنرال (كلوزيل) بهدمه وأقيم على أنقاضه فندق دي لاريجانس ووقع لجامع حسن باي قسنطينة ما وقع لجامع كتشاوة وجاء في الخطبة التي ألقاها سكرتير الحاكم في قسنطينة أثناء الاحتفال بتحويل المسجد إلى كنيسة: "إن آخر أيام الإسلام قد دنت وخلال عشرين عاماً لن يكون للجزائر إله غير المسيح، ونحن إذا أمكننا أن نشك في أن هذه الأرض تملكها فرنسا فلا يمكننا أن نشك على أي حال أنه قد ضاعت من الإسلام إلى الأبد أما العرب فلن يكونوا مواطنين لفرنسا إلا إذا أصبحوا مسيحيين جميعاً". وحول جامع علي

(١) بقطاش، المصدر السابق، ص ٢٣.

(٢) مصطفى نصر المسلاتي: الاستشراق السياسي في النصف الأول من القرن العشرين،

دار إقراء، (ليبيا، ١٩٨٦) ص ١٧٢.

(٣) غراب، المصدر السابق، ص ٨٤.

(٤) بقطاش، المصدر السابق، ص ٣٢-٣٤.

(٥) أبو زكريا، المصدر السابق.

بتشين بالعاصمة إلى كنيسة تحمل أسم (De La Victoire Notre Dame) أي سيدة النصر ومثله جامع القصبه البراني الذي حول الى كنيسة باسم (Croix Saint) أي القديس كروا، وكذلك جامع سوق الغزل بقسنطينة وفي وهران حول مسجد سيدي محمد الهواري الى متحف، وفي معسكر حول مسجد العين البيضاء إلى مخزن حبوب للجنود الفرنسيين^(١).

لقد تم تحويل أكبر مسجد في مدينة الجزائر إلى كاتدرائية، وأصدرت هيئة البريد الفرنسية طابعاً تذكاريّاً يمثل الهلال، رمز الإسلام يسقط منحدرّاً إلى قاع البحر، في حين أن الصليب يرتفع أعلى ليغمر بسناه الأفق، وأعلن أحد ملوك إسبانيا أمام البابا: "أن إسبانيا جندت نفسها حتى تغرس الصليب في إفريقيا وفي كل ديار الإسلام، وتجعل أتباع محمد يتبعون له - الصليب - قهراً"^(٢).

٣- مصادرة لغة القرآن وإغلاق معاهده الدينية: قام (شوطان) وزير داخلية فرنسا آنذاك في ٨ آذار/ مارس عام ١٩٣٨ بإصدار قرار يقضي بمنع تعليم اللغة العربية في الجزائر باعتبار أنها لغة أجنبية^(٣)، كما قام بإلغاء معاهد التعليم الديني واللغوي التي كانت سائدة في الجزائر والتي كانت نسبة المتعلمين فيها وحسب آخر إحصاءات فرنسية (٩٠%) من عدد السكان^(٤).

أدرك المنصرون ومن ورائهم دوائر الغرب الاستعماري، أنهم المنهزمون في مواجهة مع المسلمين^(٥)، وأرجعوا ذلك إلى أن القرآن الكريم الذي انغرس في نفوس مئات الملايين من المسلمين، هو العقبة التي يجب أن يتعاون الجميع لإزالتها من طريق الغرب للوصول إلى الشرق وعجز المستعمرون في الجزائر رغم وجود مئات البعثات التنصيرية ورغم مئات الألوف من الجنود أن يحققوا مآربهم في استغلال الثروة وفي استعباد الشعب، أو حتى في زعزعة عقيدته الإسلامية رغم إطباقهم على صدور الشعب الجزائري المسلم لأكثر من (١٣٠ عاماً)، ولم يجد الفرنسيون تعليلاً لفشلهم سوى ما قاله الحاكم الفرنسي في الجزائر: "يجب أن نزيل القرآن العربي من وجودهم ونقتلع اللسان العربي من ألسنتهم حتى ننتصر عليهم". واستطاع

(١) محمود عبد الرحمن: التنصير والاستغلال السياسي، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، ط ١، (بيروت: ٢٠٠٩)، ص ١٤.

(٢) غراب، المصدر السابق، ص ٨٤.

(٣) محمد سريج: جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، ماذا يمثل قرار ٨ مارس ١٩٣٨ الفرنسي في نظر ابن باديس، شبكة المعلومات الدولية (الانترنت)، على الموقع الالكتروني

عبد الحميد بن باديس، <https://binbadis.net/archives/>

(٤) عبد الرحمن، المصدر السابق، ص ٧٩.

(٥) المصدر نفسه، ص ٨٠.

الفرنسيون اقتلاع اللسان العربي في الجزائر لحد كبير لكنهم وقفوا عاجزين أمام القرآن. فلم تستطيع فرنسا ولا أي دولة استعمارية أن تسيطر على الدول الإسلامية، كما قال غلادستون: "ما دام هذا القرآن موجوداً فلن تستطيع أوروبا السيطرة على الشرق ولا أن تكون هي نفسها في أمان"^(١).

وأخر كلمة يعلل بها (لاكوست) وزير المستعمرات الفرنسي، فشل قواته في المغرب العربي: "ماذا أفعل إذا كان القرآن أقوى من فرنسا"^(٢). في مجال محاربة اللغة العربية عمل الاستعمار على منع استخدام الحرف العربي في المدارس والدوائر الرسمية والوثائق الحكومية في شمال إفريقيا، وفرض الكتابة بالحروف اللاتينية.

ثالثاً: السيطرة على التعليم:

أوضح وزير التربية الفرنسي أثناء احتلال فرنسا للجزائر الهدف من سياسة فرنسا التعليمية بقوله: "إن الغزو الأول للجزائر كان بقوة السلاح ويتمثل الغزو الثاني في حمل الأهالي على قبول عدالتنا وآرائنا، وسوف يتحقق الغزو الثالث عن طريق المدرسة وتغيير العقليّة الجزائريّة). ولتحقيق هذا الهدف قام الأسقف (دوبوش Dupuch) باستدعاء طائفة اليسوعيين الذين لهم باع طويل في العمل التنصيري بين العرب والمسلمين عن طريق المؤسسات التعليمية ووصلت الطائفة عام ١٨٤٠، واختاروا العمل في العاصمة الجزائرية وقسنطينة ثم معسكر؟ وكان هدف اليسوعيين تنصير العرب والوقوف في وجه كل الأوربيين الذين أسلموا وتزوجوا من جزائريات فشكّلوا أنفسهم في جمعية أطلقوا عليها اسم (الجمعية الأدبية الدينية للقديس أوغسطين) عام ١٨٤٤، التي كان من ضمن أهدافها بعث الثقافة الدينية النصرانية بالجزائر عن طريق إحياء كتابات القديس (أوغسطين) والقديس (سبريان) وغيرهما، وكذلك عن طريق دراسة آثار الكنائس القديمة بإفريقيا بهدف إثبات الماضي النصراني"^(٣).

قامت الإرساليات التنصيرية بالإكثار من إنشاء مدارسها في أنحاء متفرقة من المغرب العربي، فمثلاً في تونس زاد عدد المدارس عن عشرين مدرسة عام ١٨٨١، إلى ثلاثة وثمانين مدرسة عام ١٨٨٥، وكان يدرس فيها حوالي (٢٤٧١ مسلماً)، وكانت هذه المدارس في بادئ أمرها تهتم بتعليم اللغة والثقافة الفرنسية إلى أن ثار المعمرون^(٤). على هذا المنهج

(١) عبد الرحمن، المصدر السابق، ص ٨٢.

(٢) أحمد القصاب: تاريخ تونس المعاصر (١٨٨١-١٩٥٦)، تعريب حمادي الساحلي، ط١،

(تونس: ١٩٨٦)، ص ٣٠٠.

(٣) القصاب، المصدر السابق، ص ٢٩٦-٣٠٠.

(٤) المصدر نفسه، ص ٢٩٢-٢٩٣.

فعدلت فرنسا من سياستها التعليمية وأصبحت تهتم بالأمر المهني والزراعية البحتة بجانب تعليم ديانة المستعمر^(١).

كان يوجد بجانب المدارس الفرنسية مدرستان إيطاليتان وفي عام ١٨٨٥، أخضعت لسلطة الحكومة الإيطالية، حيث عقد اتفاق بين فرنسا وإيطاليا جاء فيه: فيما يتعلق بالمدارس الإيطالية المفتوحة في الوقت الحاضر بالبلاد التونسية سيبقى وضعها على ما هو عليه، من غير مساس بالحقوق العليا للإدارة المحلية في ميدان حفظ الصحة والأمن العام^(٢).

إما بالنسبة للمدارس التنصيرية بصفة خاصة والجمعيات الدينية الكاثوليكية بصفة عامة في ليبيا، فقد تم توقيع اتفاق بين الجمهورية الفرنسية وبين إيطاليا، أمست من خلاله هذه المؤسسات تحت الحماية الإيطالية^(٣). وكانت المدارس على النحو الآتي:

١- **طرابلس:** تم إنشاء مدرسة ابتدائية للبنين مع أقسام إضافية مسائية في عام ١٨٧٦. ثم مدرسة ابتدائية للبنات مع أقسام إضافية للتدريب المهني في عام ١٨٧٨، ثم مدرسة فنية في عام ١٨٨٨ مع قسم طبي ومعمل للتحليل ملحق بها. ثم مدرسة للأطفال الأيتام أسسها المجلس التنصيري الوطني الإيطالي وتديرها الأخوات الفرنسيكانيات.

٢- **الخميس:** تم إنشاء مدرسة ابتدائية للبنين في عام ١٨٨٨ وبها قسم طبي مسائي للكبار غير المتعلمين وكانت تدرس بها اللغة العربية وهي مدارس حكومة إيطالية تتبع المناهج المتبعة بالمدارس القائمة في إيطاليا. ثم أنشئت المدرسة الابتدائية الفرنسية في عام ١٩١١ وهي تابعة للجمعية الكاثوليكية في فرنسا. ثم مدرسة ابتدائية للبنات تابعة للمجلس التبشيري الوطني الإيطالي وتديرها الأخوات الفرنسيكانيات.

٣- **بنغازي:** تم إنشاء مدرسة ابتدائية للبنات تابعة للبعثة الكاثوليكية وتديرها أخوات القديس يوسف. ثم مدرسة ابتدائية للبنين تابعة للبعثة الكاثوليكية وتدار بواسطة الأخوة الفرنسيكان^(٤).

(١) المسلاتي، المصدر السابق، ص ١٩٥.

(٢) غراب، المصدر السابق، ص ٨٨.

(٣) رأفت غنيمي الشيخ: تطور التعليم في ليبيا في العصور الحديثة، دار التنمية للنشر والتوزيع، ط ١، (ليبيا: ١٩٧٢)، ص ١١٨-١٢٠.

(٤) الحناشي، المصدر السابق، ص ١٠٨.

٤- **درنة:** تم إنشاء مدرسة ابتدائية تابعة للبعثة الكاثوليكية وتدار بواسطة الإخوة الفرنسيين. ثم مدرسة ابتدائية للبنات تابعة للمجلس التبشيري الوطني الإيطالي وتديرها الأخوات الفرنسيكانيات^(١). من أبرز النشاطات البروتستانت فتح المدارس في المغرب الأقصى وعلى النحو التالي: مدرسة صويرة للبنات في عام ١٨٧٩، ومدرسة طنجة للبنات في عام ١٨٩٢، ومدرسة طنجة للذكور في عام ١٨٩٢، ومدرسة فاس للذكور في عام ١٨٩٣، ومدرسة تطوان للذكور عام في ١٨٩٣^(٢).

٥- **الجزائر:** تم إنشاء مدرسة للبنات عام ١٨٣٦- للأهالي تحت إشراف إميلي دوفيلار^(٣).

رابعاً: ترسيخ الوجود النصراني في المغرب العربي عن طريق:

١- **رعاية الأيتام:** استعان المنصرون بطائفة القديس (فانسادو بولس) التي حلت بالجزائر عام ١٨٣٤، ولقد اقتصرت هذه الطائفة بتنصير الأطفال والمرضى. واستطاعوا أن ينجزوا في ظرف سبع سنوات (٤٠) ملجأ في أنحاء متفرقة من الجزائر. قام الأب (بريمولت) بإنشاء مركز للأطفال ببوفاريك وآخر في ابن عكنون عام ١٨٤٣، ولقد بلغ عدد الأطفال بهذا المركز حوالي (٣١٧)، طفلاً، ونظراً للدور التنصيري الفعال الذي أداه هذا المركز على هذا القطر قام الجنرال (بيجو) بزيارة المركز، وأعطى للأب (بريمولت) مجموعة من أطفال الجزائر قائلاً له: "حاول يا أبت أن تجعلهم مسيحيين فإذا فعلت فلن يعودوا إلى دينهم ليطلقوا علينا النار"، كما قام بعض المنصرين باستغلال مجاعة عام ١٨٦٦، وكان على رأس هؤلاء المنصرين لافيجيري، الذي قام بجمع الأيتام وتربيتهم وتنشئتهم مسيحية، ولم يكتف المنصرون بذلك بل عمدوا إلى خلق أسر متحصنة، من خلال تزويج بعض أبناء المسلمين ببعض المنصرات البروتستانتات، خاصة في منطقة القبائل الكبرى^(٤).

اشترى لافيجيري في تشرين الثاني/ نوفمبر من عام ١٨٦٨، أراضي واسعة

بالعطاف في مكان يسمى سهل شلف وأسس به قريتين هما:-

أ- **قرية القديس سيبريان:** شيدت عام ١٨٧٢ تخليداً لأسقف قرطاج السابق، وأقامت فيها ٢٦ أسرة بعد ما زوج اليتامى الذين بلغوا سن الرشد. ومنح كل أسرة ٢٠ هكتاراً صالحة للزراعة ومنزلاً يتألف من غرفتين أو ثلاث غرف ومنحها مبلغاً من المال أو من المواد الزراعية وقد بنيت القرية حول الكنيسة ويوجد في مدخلها بستان جماعي وإسطنبول غير أنه لم

(١) بقطاش، المصدر السابق، ص ٤٨.

(٢) عبد الرحمن، المصدر السابق، ص ١٤٢.

(٣) غراب، المصدر السابق، ص ٨٩.

(٤) شبكة المعلومات الدولية (الانترنت): سياسة التبشير في الجزائر سياسة الغزو والإدماج،

تكن الأراضي ملكا لكل أسرة ولكنها أجرت لها بثمن رمزي. وبهذه الطريقة ظل الفلاحون خاضعين لسلطة المنصرين.

ب- قرية القديس مونيك: شيدت تخليداً لام القديس أوغسطين وتكونت القرية من ٢٤ أسرة ومن ضمن العائلات نجد عائلات (فرانسوا بن عيسى وجان الشريف) الذين كانوا يعيشون أولاً في سانت أوجين قريباً من بوزريعة. وأقامت الأخوات البيض في القرية واعتنيت بالتعليم والتطبيب وفي عام ١٨٧٦ أنشأ لافيغيري مستشفى سانت إليزابيث وشيده بحضور شخصيات مدنية وعسكرية وأعجب قنصل بريطانيا بلافيغيري إلى أن شبهه بالقديس أوغسطين^(١). وسلم مسؤولية القريتين المسيحيتين العربيتين لكل من الآباء والأخوات البيض^(٢)، وقال عن أهداف القريتين: "سنتكون في كل قرية عائلات مسيحية من طريق التزويج بين اليتامى وسنجد في هذه القرى بعد سنوات قليلة عرباً مسيحيين".

تم بستدعاء فرقة الترابيست التي كان لها منهجها الخاص أيضاً في العمل التصيري، وذلك من خلال امتلاك الأراضي الزراعية وفلاحتها فاستقرت هذه الفرقة بمدينة اسطاوالي حيث أعطتها سلطات الاحتلال (١٠٢٠ هكتارا) من أحسن الأراضي الساحلية بسهل اسطاوالي، وقامت ببناء أول دير لها في ١٤ أيلول/سبتمبر عام ١٨٤٣ وسط مزارع هذه المدينة^(٣).

تشير المراجع إلى نجاح هذه الفرقة في زراعة الأراضي التي استولت عليها بالكروم ولكنها فشلت فشلاً ذريعاً في تنصير الجزائريين، ويتضح ذلك من قول المنصر جيرالد الذي جاء فيه: "عند مجيئي إلى الجزائر كنت آمل في تنصير العرب، ولقد رأيت عددا منهم يصلون إلى مرحلة التعميد ولكني لم أر واحدا منهم يثبت على نصرانيته". ونفس هذه الطريقة التزم بها الأسقف (بافي Pavy). أنشأت قرية فلاحية تجريبية بالدار البيضاء في عام ١٨٩٣ ومشغل (Ouvroir) بطنجة. وتمثل العمل الاحساني في ملجأ ليلي للرجال وفي توزيع إعانات للمحتاجين والمساجين: (أعطيت إعانات لسبعين سجيناً في تطوان)^(٤). وتم تأسيس مأوى للفقراء في المغرب الأقصى وفتح مطعماً لهم في عام ١٨٨٧.

(١) بقطاش، المصدر السابق، ص ١٢٩.

(٢) غراب، المصدر السابق، ص ٩٠.

(٣) الحناشي، المصدر السابق، ص ١٠٨؛ غراب، المصدر السابق، ص ٩٠.

(٤) الحناشي، المصدر السابق، ص ٩٨.

٢- بناء الكنائس: استطاع الأسقف (دوبوش Dupuch) أن يقيم مشروع استعادة الكنيسة الإفريقية، بمساعدة (بيجو) واستطاع أن ينجز في ظرف سبع سنوات (٤٧) كنيسة في الجزائر وحدها^(١).

خامساً: ربط التنصير بالعمل الإنساني:-

اعتمد الأسقف (دوبوش Dupuch) في عمله التنصيري على العمل الخيري، وعبر عن ذلك بقوله : "يجب أن تكون رسالتنا بين الأهالي، فينبغي علينا أن نعرفهم بدين أجدادهم الأولين من خلال الخدمات الخيرية". وبدأ هذا العمل بإعلانه أنه سيعطي (٢٠ فرنكاً) أسبوعياً لكل من جاء ليسمع التلاوة الدينية في الكنيسة و (٥٠ فرنكاً) لمن يقبل التعميد فيتنصر، وخصص يوماً الاثنين والخميس ليتصدق فيهما بالخبز للأطفال المشردين. وقد شجعه البابا غريغوريوس السادس عشر على ذلك ودعمه بالقسيس (سوشي) فكلفه بتنصير أهل قسنطينة، وقد افتخر (دوبوش) بكونه أول من يدخل مدينة إسلامية لم يدخلها قسيس منذ (١٤٠٠ عام)، وكانت باكرة أعماله تأسيس أول معبد نصراني بتحويله مسجد أحمد باي إلى كنيسة^(٢).

كما قام البارون (أوغسطن دوفيلار) بشراء أراض في كل من القبة وبراقي وابن عنكون وبوفاريك بسهل متيجة وأنشأ مركزاً طبياً في عام ١٨٣٥. وقام بالسفر إلى فرنسا من أجل غاية تنصيرية مفادها تحريض الناس هناك للتبرع لصالح مشاريعه الخيرية التنصيرية مؤكداً لهم أن هذه الأعمال ستؤدي في النهاية إلى تنصير الجزائريين وقام بجمع تبرعات ضخمة لمشاريعه، وكان أول من آمن بأفكاره الملك (لويس فيليب) وزوجته (إميلي) اللذين تبرعا له بمبلغ (١٥٠٠ فرنك)، ويبدو أنه كان شديد الإيمان بفكرة العمل التنصيري من خلال الأعمال الخيرية، حيث قام باستدعاء شقيقته المنصرة (إميلي دوفيلار) إلى الجزائر مع مجموعة من الراهبات لاستغلال المراكز والمعاهد ونشاطات التطبيب والأعمال الخيرية في نشر النصرانية. وما أن وصل إلى الجزائر المنصر بورغاد عام ١٨٣٨، الذي كان يوافق البارون أوغسطين في أفكار التنصيرية حتى اختارته (إميلي) مرشداً دينياً لفرقتها، وقام (بورغارد) بفتح مركز خيري آخر بمدينة بوفاريك، الأمر الذي جعل المارشال (فالي) يكرمه فيسلمه مسجداً صغيراً ليقم فيه^(٣).

(١) غراب، المصدر السابق، ص ٩١.

(٢) المصدر نفسه، ص ٩٢.

(٣) شبكة المعلومات الدولية (الانترنت)، الجزائر... احفاد طارق بن زياد.

سادساً: توظيف بعض النصارى من البلدان العربية الأخرى:-

تم الاستعانة بالموارنة النصارى في عملية التنصير في المغرب العربي الاستعانة من أجل إيجاد جالية عربية نصرانية تسهل لفرنسا مهمتها الاستعمارية، وكان صاحب الفكرة قنصل فرنسا بالإسكندرية (بوديكور) الذي خاطب وزير الشؤون الخارجية الفرنسية في ٩ أيلول/ سبتمبر عام ١٩٤٥ عارضاً عليه الفكرة^(١)، بقوله: "الموارنة مسيحيون وقد برهنوا على إيمانهم بتمسكهم الشديد بالدين، وسوف يؤثرون على سكان الجزائر حينما يسكنون بينهم سينتشرون في الأسواق العربية وكل القرى القبائلية ومراكز التجمع في المناطق الصحراوية، مكونين بذلك شبكة من النصارى العرب العاملين من أجل المصالح الفرنسية"^(٢).

قد تعطل هذا المشروع لأن الحكومة الفرنسية كانت تفضل بقاء الموارنة ببلاد الشام ومصر لحاجتها إليهم في تثبيت مصالحها هناك ثم طرحت الفكرة من جديد بمناسبة الفتنة التي وقعت بين الدروز والموارنة عام ١٨٦٠، ثم جاء الكاردينال لافيغيري ليعيد طرحها من جديد حيث ورد في مراسلته لوزير الشؤون الدينية عام ١٨٦٦ ما نصه: "إنني الوحيد الذي أبديت اهتماماً بنشر المسيحية وسط العرب وقد كانت وما زالت لي علاقة طيبة مع مسيحي المشرق العربي، وهؤلاء يجب استدعائهم إلى الجزائر"^(٣).

يبدو أن مشروع الاستعانة بالمسيحيين العرب قد لاقى قبولا بعد ذلك حيث شجعت الإرساليات التنصيرية بعض الأقباط المصريين لكي يعبروا إلى ليبيا لمساعدة المنصرين في عملهم. ويتبين لنا ذلك من خلال الرسالة التي تلقتها متصرفية الخمس والجبل وفزان والموجهة إلى مديرية الأمن العام وجاء فيها: "بناء على تبليغ وأمر من وزارة الداخلية حيث أنها علمت بأن جماعة من رهبان مصر يتغلغلون بين الأهالي والغرباء، متخفين بزي المشايخ لبث الدعايات المغرضة ونشر الفساد والترفقة. لذلك يطلب منكم التيقظ في المراكز والدواخل وتبليغ الموظفين المسؤولين بألا يتركوا مجالا لمثل هذه الأحوال"^(٤).

(١) المسلاتي، المصدر السابق، ص ١٩٢-١٩٨ .

(٢) غراب، المصدر السابق، ص ١٩٢ .

(٣) المصدر نفسه، ص ١٩٣ .

(٤) المصدر نفسه، ص ٩٤ .

سابعاً: توسيع رقعة العمل التنصيري:-

عندما توجهت القوات الفرنسية لاحتلال الجزائر في ٥ تموز/ يوليو عام ١٨٣٠، عبر المنفذ البحري سيدي فرج وعقب تحطم الأسطول الجزائري الذي كان يحمي الأسطول العثماني في معركة نافارين^(١) على مقربة من المياه اليونانية اصطحب قائد الحملة الفرنسية على الجزائر (دوبونياك) وبتوصية من دائرة الأراضي الفرنسية في الخارج دائرة الاستعمار التابعة لوزارة الخارجية أربعة عشر شخصا من أبرز القساوسة الفرنسيين لدراسة المدينة وإبداء أنجع الآراء في كيفية التنصير في هذا البلد^(٢).

بادر المارشال سولت في عام ١٨٤١ بتعيين لجنة من الخبراء لبحث وسائل الاستعمار بواسطة الجماعات الدينية، وترأس هذه اللجنة النائب الكاثوليكي دوكورسيل الذي كان متحمسا لهذا النوع من الاستعمار، وقامت اللجنة بدراسة مختلف جوانب الموضوع وبقيت في الجزائر ثلاثة أشهر وقدمت تقريرها النهائي الذي سلم إلى وزير التربية والتعليم ومما جاء فيه: "لا يمكن للجزائر أن تكون فرنسية إلا إذا أصبحت مسيحية"^(٣). وخلال فترة الدراسة اعتمدت سياسة المحتل على تهدئة الرأي العام الجزائري حيث نصت وثيقة الاستسلام التي حررها قائد الحملة الفرنسية ووقعها الداوي حسين على: "أن تعطى الحرية للديانة المحمدية وللمكاتب الأهلية ولديانتهم مع احترام تقاليدهم وأموالهم وتجارتهم وصنائعهم وان لا يعارضوا في ذلك وان لنسائهم الاحترام التام ومزيد الاعتبار ويقسم الجنرال على ذلك بشرفه"^(٤).

كان من غايات جمعية الآباء البيض النفوذ عبر الصحراء والسودان من طريق عين صالح لنشر المسيحية في وسط إفريقيا، وبالفعل استقر بعض أعضاء هذه الجمعية في مدن بسكره وجيرويل والاغواط ومتبلي حينما أرادوا أن يعبروا الصحراء متوجهين إلى وسط إفريقيا قام أفراد من الطوارق بقتل ثلاثة منهم، ويبدو أن هذا العمل لم يؤثر في المنصرين كثيرا حيث قام لافيجيرري بتجربة طريق آخر هو (غدامس-غات) للنفوذ إلى السودان عوضا عن طريق عين صالح. فوصل إلى طرابلس منصران فرنسيان عام ١٨٧٨، وحاولا أن يكسبا محبة السكان بتقديم العلاج لهم.

(١) الجزيرة نت: إبراهيم باشا والدروس الكبرى من معركة نافارين البحرية، شبكة المعلومات

الدولية(الانترنت)، على الموقع الالكتروني، <https://www.aljazeera.net/blogs>

(٢) شبكة المعلومات الدولية(الانترنت)، الجزائر.. أحفاد طارق بن زياد .

(٣) أبو زكريا، المصدر السابق.

(٤) غراب، المصدر السابق، ص ٨٣ .

ويبدو أن هذا العمل قد وجد استحسانا عند معظم سكان المنطقة، الأمر الذي كان حافزا لهم للقيام بجولة بين الطوارق في المنطقة واستمرت (٥٦ يوما) عام ١٨٨٠، ولكن الأمر الذي أساء إلى المنصرين في هذه الفترة ما شاع عنهم من كونهم جواسيس. فوضعتهم السلطات العثمانية تحت المراقبة، كما قام الأهالي بمضايقتهم ووصلت في بعض الأحيان إلى القتل حيث قتل الطوارق ثلاثة منهم. وبعدها قام لافيجيرى بتأسيس كتيبة مسلحة لحماية المنصرين عام ١٨٩١، سماها جمعية إخوان الصحراء المسلحين، وكانت الأهداف المعلنة لهذه الجمعية هي محاربة بيع العبيد ولكن الحقيقة كان الهدف منها حماية المنصرين، والحفاظ على حركة التنصير بقوة السلاح إلى جانب استكشاف الصحراء وتسهيل وصول العسكريين^(١).

استقرت إرسالية فرنسيسكانية بالدار البيضاء عام ١٨٦٨، وتزعمها فيسانت ريفز (Rives Vicente) وزار الرباط والصويرة، ثم استقرت بعثة أخرى عام ١٨٦٩ بالصويرة بإدارة خوان ما نوال مريكن أوكانيا (Pere Juan Manuel Marguina Ocana) الذي مكث بالمغرب (١٨٦٨-١٨٧١)، وأصدر مجلة صدى الفرنسيين (El Eco Francis Nano)، وعمل الفرنسيون بالنجوال لعلاج المرضى ونظموا لقاءات أوربية-مغربية لتهيئة المناخ لقبول المسيحيين^(٢).

وأخيراً بسط النفوذ الفرنسي في أعماق الصحراء خاصة بعد أن قام أهل الجنوب بقتل جماعة من المنصرين لإساعتهم للدين الإسلامي الأمر الذي اعتبره الأهالي استفزازا لهم في عقيدتهم وكان من ضمن المنصرين الذين قتلهم الأهالي لهذا السبب (بولمي) و (مينوري)، و (بوشو)^(٣).

(١) الحناشي، المصدر السابق، ص ١٠٢،

(٢) عبد الرحمن تشايحي: الصراع التركي الفرنسي في الصحراء الكبرى، ترجمة علي اعزازي، مراجعة محمد الأسطى (ليبيا: ١٩٨٢)، ص ٦٦-٩٨.

(٣) الحناشي، المصدر السابق، ص ٨٨.

ثامناً: محاولة إحياء قانون العرف القبلي:-

حاولت فرنسا إحياء قانون العرف القبلي في المغرب لجعل الناس يقبلون القانون المدني الفرنسي على حساب الشريعة الإسلامية عملاً برأي دو فوكو وهو: "سكان إمبراطورية فرنسا الإفريقية على أنواع مختلفة فمنهم البربر وهم أقرب الناس لفرنسا ومنهم العرب وهم أقل استعداداً للتقدم". والسياسة البربرية هي سياسة تهدف إلى مقاومة الإسلام لأنه مصدر الشريعة والعقيدة. لذا بدت خطة لاستيعاب البربر بإحياء قوانينهم العرفية وإدماجها في القانون الفرنسي. وذهب الفرنسيون إلى أن: "البربر كانوا وما زالوا مسيحيين، وأن دعاة المسيحية الذين بثتهم فرنسا بين القبائل البربرية، إنما هم وعاظ يذكرون إخوانهم البربر بدينهم القديم، لا دعاة إلى دين جديد أو معتقدات غريبة". بل تجاوز إلى حد القول أن: "البرابرة هم الذين فتحوا إسبانيا وغزوا فرنسا وفتحوا إيطاليا وكانوا مسيحيين"^(١).

(١) بقطاش، المصدر السابق، ص ١١٢.

تاسعاً: الاهتمام بالمرأة:-

لم ينس لافيجيري مقام المرأة في الأسرة، فوجه اهتمامه إلى التأثير عليها، فالمرأة- في نظره- مدار الحياة الاجتماعية والوصول إليها وصول إلى الأسرة كلها، ولهذا أنشأ في أيلول/ سبتمبر عام ١٨٦٩ فرقة الأخوات البيض التي حملها مسؤولية التبشير بين النساء، عن طريق الطبيب والتعليم والخدمات الخيرية^(١).

إن التجربة التي قامت بها فرنسا في مجال العمل التصيري في المغرب العربي بصفة عامة والجزائر بصفة خاصة قد أبرزت لنا جانباً من نتائج هذا العمل في هذه الفترة حيث تم اختيار فتيات مسلمات جزائريات من قبل الحكومة الفرنسية وأدخلتهن في مدارسها التصيرية وبعد أحد عشر عاماً من الجهود هيأت لهن حفلة تخريج دعي إليها الوزراء والمفكرون والصحفيون، ولما بدأت الحفلة فوجئ الجميع بالفتيات الجزائريات يدخلن بلباسهن الإسلامي الجزائري وكأنهن يعلن للمنصرين عدم نجاح عملهم التصيري، فثارت ثائرة الصحف الفرنسية وتساءلت ماذا فعلت فرنسا في الجزائر، فأجاب (لكوست) وزير المستعمرات الفرنسي بحسرة: "وماذا أصنع إذا كان القرآن أقوى من فرنسا"^(٢).

(١) غراب، المصدر السابق، ص ٩٤.

(٢) المصدر نفسه، ص ٩٥.

الخاتمة

أول ما يشد اهتمام المؤرخ العوامل الأساسية التي تحكمت بشكل أو بآخر في مسار تاريخ المغرب العربي. وإن الفكر الاستعماري والعقيدة المسيحية هما اللذان أخرجنا الأحداث من إطار حركة تستمد جذورها من خلفيات تاريخية إلى نطاق أوسع، إذ إن موقف أوروبا من الحركات التنصيرية لم يكن موقفاً عقائدياً أصلاً بل كان موقفاً سياسياً عمل على تركيز نفوذ أوروبا بواسطة الإرساليات في دول المغرب العربي. وكون هذا التفكير عنصراً جديداً في حياة العقيدة المسيحية، فخرجت الأحداث عن طبيعتها. فإذا كانت المبادرة قديمة في صيغ صليبية وعداء للمسلمين فإن ساسة أوروبا استجابوا للفكرة لما لمسوه من تمهيد الطريق لاستقبال أنواع الغزو.

ثم وقع الالتحام السياسي-العقائدي، بدون أن يكون هناك اثر للتناقضات. فكلها كانت مضبوطة بأخلاقيات الغرب في تحركاته والتزاماته. أما الجانب العربي المغربي فقد بدأ يفقد معنوياته في المجالين الداخلي والخارجي. فكانت دول أوروبا ذات المصالح في المغرب العربي تعمل على طمأنة جالياتها بمواثيق ومعاهدات سلبت الذاتية المغربية.

لقد هيا المنصرون أرضية لاستعمار إفريقيا حتى سارعت أوروبا لاحتضان منصريها ثم اقتسمت كامل أجزاء القارة باستثناء المغرب الأقصى وأثيوبيا لوضعها الخاص، وتم تقسيم إفريقيا في مدة عشرين عاماً (١٨٨٠-١٩٠٠)، يقول كورن فان(Cornevin): "إن مسار الحركة الاستعمارية لإفريقيا يعكس أهمية الدور الذي لعبته الإرساليات المسيحية، حتى أن هؤلاء المبشرون تبوءوا مكانة الاستعمار"، حتى إن حركة التنصير كانت تتظاهر بإدخال الأفارقة في المدنية الغربية، لكنها ساهمت في الأساس في السيطرة الفعلية عليهم.

ظل العامل المشترك الذي يجمع بين حملات التنصير وهجمات الاستعمار في النصف الثاني من القرن التاسع عشر هو الاستراتيجية الواحدة لاستئصال وتفكيك الأصول. لنقل الفكر العربي الإفريقي من مجال الأصالة إلى مجال عبودية التمدن الأوربي، وهذا أدى إلى صراع الأفكار بين الأجيال وتعدد وجهات النظر وتباين الآراء دون الاستناد إلى قاعدة صحيحة ومعلومة، فصاغت المفاهيم بأشكالها المختلفة ونشأ الحقد والخصومة بين المجموعات المختلفة بين من هو مؤيد للحداثة والتقاليد الأوروبية و لاسيما الفرنسية وبين من هو مؤيد للشريعة الإسلامية والتقاليد والأعراف العربية الأصيلة.

ثبت المصادر

أولاً: المصادر العربية:

- ❖ بازامة ، محمد مصطفى، ليبيا في عشرين سنة من حكم الأسبان ١٥١٠-١٥٣٠، (ليبيا، ١٩٦٥).
- ❖ البرغوثي، عبد اللطيف محمود، تاريخ ليبيا من الفتح الإسلامي حتى بداية العصر العثماني، منشورات الجامعة الليبية، (بيروت: ن)
- ❖ بقطاش، خديجة، الحركة التبشيرية الفرنسية في الجزائر ١٨٣٠-١٨٧١، (الجزائر، ١٩٧٧).
- ❖ التازي، عبد الهادي، تاريخ الدبلوماسية للمغرب من أقدم العصور إلى اليوم، المجلد الثاني، (المغرب، ١٩٨٦).
- ❖ الترجمان، عبد الله، تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب، مطبعة التمدن، (القاهرة، ١٩٠٤).
- ❖ تشايجي، عبد الرحمن، الصراع التركي الفرنسي في الصحراء الكبرى، ترجمة علي اعزازي، مراجعة محمد الأسطى (ليبيا: ١٩٨٢).
- ❖ الجحاني، الحبيب، من قضايا الفكر، الشركة التونسية للتوزيع، (تونس، ١٩٧٥).
- ❖ جوليان، شارل أندري، تاريخ إفريقيا الشمالية، ترجمة محمد مزالي، البشير سلامة، الدار التونسية، ج ٢، (تونس، ١٩٧٨).
- ❖ جوليان، شارل أندري، تاريخ إفريقيا الشمالية من الفتح الإسلامي الى سنة ١٨٣٠، ترجمة محمد مزالي، البشير بن سلامة، الدار التونسية للنشر (تونس: ١٩٨٣): ج ٢، ص ١٨٠.
- ❖ جيبون، ادوارد، تاريخ إفريقيا العام، اضمحلال الإمبراطورية الرومانية وسقوطها، المجلد الثالث، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (القاهرة، ١٩٩٧).
- ❖ حسين، ممدوح ، مدخل إلى تاريخ حركة التنصير، دار عمار للنشر، ط ١، (عمان، ١٩٩٥).
- ❖ الحناشي، بلقاسم، الحركات التبشيرية في المغرب الأقصى في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، منشورات مركز الدراسات والبحوث العثمانية والموريسكية والتوثيق والمعلومات، (تونس، ١٩٨٩).
- ❖ رايت، جون، ليبيا منذ أقدم العصور، ترجمة عبد الحفيظ الميار واحمد اليازوري، دار القرجاني، ط ١، (طرابلس، ١٩٧٢) .
- ❖ شلبي، عبد الجليل، الإرساليات التبشيرية، منشأة المعارف، (القاهرة، ١٩٧٧).

- ❖ الشيخ، رأفت غنيمي، تطور التعليم في ليبيا في العصور الحديثة، دار التنمية للنشر والتوزيع، ط ١، (ليبيا، ١٩٧٢).
- ❖ عاشور، سعيد عبد الفتاح، الحركة الصليبية: صفحة مشرقة في تاريخ الجهاد الإسلامي في العصور الوسطى، مكتبة الانجلو المصرية، ج ٢، (القاهرة، ١٩٩٨).
- ❖ عبد الرحمن، محمود، التنصير والاستغلال السياسي، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، ط ١، (بيروت، ٢٠٠٩).
- ❖ ١٨-الغزالي، محمد، التعصب والتسامح بين المسيحية والإسلام، نهضة مصر للطباعة والنشر، ط ٦، (القاهرة، ٢٠٠٥).
- ❖ القصاب، احمد، تاريخ تونس المعاصر (١٨٨١-١٩٥٦)، تعريب حمادي الساحلي، ط ١، (تونس، ١٩٨٦).
- ❖ محمود، عبد اللطيف، تاريخ ليبيا من الفتح الإسلامي حتى بداية العصر العثماني، منشورات الجامعة الليبية، (بيروت، ن).
- ❖ المسلاتي، مصطفى نصر، الاستشراق السياسي في النصف الاول من القرن العشرين، دار إقراء ، (ليبيا، ١٩٨٦).
- ❖ نياي، ج. ت.، تاريخ إفريقيا العام، إفريقيا من القرن الثاني عشر الى القرن السادس عشر، المجلد الرابع، (اليونسكو، ١٩٨٨).

ثانيا: الرسائل والاطاريح الجامعية:

- ❖ غراب، عبد الفتاح إسماعيل عبد الفتاح إسماعيل، العمل التنصيري في العالم العربي، رصد لأهم مراحله التاريخية و المعاصرة، رسالة ماجستير منشورة، مكتبة البدر، (د: ت).

ثالثا: شبكة المعلومات الدولية:

- ❖ أبو زكريا، يحيى، من يقف وراء التنصير في منطقة القبائل في الجزائر، على شبكة المعلومات الدولية (الانترنت)، على موقع هداية الحيارى الالكتروني، <https://hidayat-alhayara.com>
- ❖ الجمهرة: أبو زكريا الحفصي، شبكة المعلومات الدولية (الانترنت)، على الموقع الالكتروني، <https://islamic-content.com>
- ❖ سريج، محمد، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، ماذا يمثل قرار ٨ مارس ١٩٣٨ الفرنسي في نظر ابن باديس، شبكة المعلومات الدولية (الانترنت)، على الموقع الالكتروني عبد الحميد بن باديس، <https://binbadis.net/archives/>

- ❖ شبكة المعلومات الدولية (الانترنت): أندريه دي لونجومو، منشور على الموقع الإلكتروني، <https://hmn.wiki/ar/Andr>
- ❖ شبكة المعلومات الدولية (الانترنت)، الجزائر.. أحفاد طارق بن زياد في قبضة التصير، على الموقع الإلكتروني، <https://www.yasater.com>.
- ❖ شبكة المعلومات الدولية (الانترنت)، مظاهر الصراع الثقافي السياسي تحت الاحتلال الفرنسي للجزائر، شبكة المعلومات الدولية (الانترنت)، على الموقع الإلكتروني، <https://www.startimes.com/>
- ❖ شبكة المعلومات الدولية (الانترنت)، سياسة التبشير في الجزائر سياسة الغزو والإدماج، على الموقع الإلكتروني، www.medinacenter.org
- ❖ المحتوى العربي: تعريف الظهير البريري، شبكة المعلومات الدولية (الانترنت)، على الموقع الإلكتروني، <https://almhtwa.com>
- ❖ المعرفة: بيوس التاسع، متاح على شبكة المعلومات الدولية (الانترنت)، على الموقع الإلكتروني <https://m.marefa.org/>